الطبيعة بوصفها ذاتا:
قراءة إيكولوجية في شعر الشريف العقيلي (ت ٤٥٠ هـ)

أحمد صلاح محمد كامل الشرقاوي*

ahmed.salah@mu.edu.eg

ملخص

موضوع هذا البحث هو (الطبيعة بوصفها ذاتا: قراءة إيكولوجية في شعر الشريف العقيلي (ت ٤٥٠هـ)، والمنظور الإيكولوجي واحدٌ من الاتجاهات الأدبية الحديثة التي تُعنَي برصد العلاقة بين الإنسان والبيئة، وخاصة هي علاقة تأثر و تأثير، كما يشمل كل النصوص الأدبية التي تهتم بالبيئة، وتدعو إلى المحافظة عليها، وأقبل الشريف العقيلي على البيئة فتأملها ودقق النظر فيها، فكانت أشعاره ذات توجّه بيئي، من حيث إن شعره يحمل همًّا بيئيًّا، ويظهر ذلك في نصوصه الشعرية التي توضح مدى تطرقه لبعض القضايا البيئية، وهذا ينتج عن إحساسه وشعوره بالبيئة، واتضح ذلك من خلال وصفه للرياض، والزهريات، والليل والصباح، والنجوم، والكواكب وغيرها من عناصر وصف الطبيعة، وجاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان: تمثلات الرؤية الإيكولوجية في شعر الشريف العقيلي، وتناول فيه : القيم البيئية، وأخلاقيات البيئة أو الإطيقا الإيكولوجية، والمكون البيئي. وتضمن المبحث الثاني: التشكيل الفني الإيكولوجي وأثره في اختيار الوسائل الفنية في شعر الشريف العقيلي، وتناول فيه: المعجم الإيكولوجي، والخيال الإيكولوجي، والتناص الإيكولوجي، وكان من أهم نتائج هذه الدراسة: أنَّ شعر الشريف العقيلي يوجد به الكثير من تمظهرات البيئة وأشكال التبيؤ الشعري وعناصر التوجه البيئي التي منها: الحضور البيئي في شعره وذلك من خلال الاستعانة بالصور البيئية للتعبير عن المشاعر الإنسانية، والبعد البيئي في الرؤية الجمالية الذي يعتمد على التصوير البيئي، مما أضفى على نصوصه طابعًا فنيًّا مميزًا يعكس مدى الحس الجمالي في تفاعله مع الطبيعة، ورفع الوعي البيئي لدى الناس عن طريق شعره، والألفة بين الإنسان والطبيعة، والمسؤولية الأخلاقية تجاه

* مدرس الأدب القديم بكلية الآداب- جامعة المنيا.

البيئة، ومركزية البيئة والعودة إلى الطبيعة النقية، ونبذ التمركز الإنساني، كما أن عناصر البيئة كان لها أثر واضح في تشكيل شخصية الشاعر وفكره، من خلال معرفة الدلالات المرتبطة بالبيئة بوصفها بنية دالة، ولم يكن حضور البيئة في شعر الشريف العقيلي مجرد وصف خارجي فقط، وإنما حمل أيضًا أبعادًا فلسفية تعكس رؤيته للحياة، إذ وظف الطبيعة للتعبير عن تأملاته في الوجود والزمن، كما استخدم عناصر الطبيعة رموزًا دالة على القيم الأخلاقية والاجتماعية، حيث استلهم من البيئة صورًا تعبيرية تجسد معاني القوة، والضعف، والتغير، والاستقرار.

الكلمات المفتاحية: الطبيعة– قراءة إيكولوجية –شعر الشريف العقيلي.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي سخَّر لنا سُبل الهداية والعلم، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد . صلى اللهُ عليه وسلم . ومَن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فموضوع هذه البحث هو (الطبيعة بوصفها ذاتا: قراءة إيكولوجية في شعر الشريف العقيلي (ت ٤٥٠هـ)، والمنظور الإيكولوجي واحدٌ من الاتجاهات الأدبية الحديثة التي تُعنَي برصد علاقة التأثر و التأثير بين الإنسان والبيئة، كما يشمل كل النصوص الأدبية التي تهتم بالبيئة، وتدعو إلى المحافظة عليها، بُغية رصد رؤى الكتَّاب والمبدعين تجاه البيئة، ويهتم الأدب الإيكولوجي بمحاولة إيجاد حلول تعيد التوازن للبيئة، بعيدًا عن هيمنة العنصر البشري على الموجودات.

وتشارك البيئة في تكوين الحالة الشعرية لدى الشاعر، وعندما يتخذ الشاعر البيئة موضوعًا رئيسًا في شعره، فهو بذلك يأخذ من البيئة ما تعطيه له من أحاسيس وأدوات تجعله يبدع في منتوجه الشعري، وقد عُرفت مصر بطبيعتها الساحرة، في أنهارها وجبالها وأزهارها وسهولها ورياضها وطيورها، وهي طبيعة فتنت عقول الشعراء المصريين، فتغنوا بمفاتنها ومشاهدها، وهاموا بها، واعتنوا بها اعتناءً فائقًا، فوجد الشعراء ضالتهم، فبثوا فيها عواطفهم ومشاعرهم، بحثًا عن الفرح والسرور، وفرارًا من الحزن والهموم، ومن هؤلاء الشعراء الشريف العقيلي حيث أقبل على البيئة فتأملها ودقق النظر فيها، فكانت أشعاره ذات التوجه البيئي، من حيث إنَّ شعره يحمل همًّا بيئيًّا، ويظهر ذلك في نصوصه الشعرية التي توضح تطرقه لبعض القضايا البيئية، وهذا ينتج عن إحساسه وشعوره بالبيئة، واتضح ذلك من خلال وصفه للرياض، والزهريات، والليل والصباح، والنجوم، وغيرها من عناصر وصف الطبيعة، وهذا يقودنا إلى معرفة تشكلات البيئة موضوعيًّا وفنيًّا وفكريًا وجماليًّا.

أهمية الموضوع ودوافعه:

- تحليل تجليات البيئة في شعر الشريف العقيلي عن طريق الكشف عن الصور الشعرية والرموز البيئية المستخدمة في شعره.
- دراسة كيفية توظيف العناصر الطبيعية مثل؛ الماء، والأشجار والصحاري، والمناخ في تجربته الشعرية.
- استكشاف العلاقة بين الإنسان والبيئة عن طريق تحليل تصور الشريف العقيلي للطبيعة ودوره فيها، والبحث عن موقفه من البيئة، وهل عكس شعره وعيًا بيئيًا أم كان مجرد تصوير للطبيعة؟
- توظيف النقد البيئي أداةً تحليلية للشعر العربي عن طريق إثبات مدى جدوى تطبيق النقد البيئي على الشعر العربي القديم عامة والشريف العقيلي خاصة.
- استكشاف مدى انسجام المفاهيم البيئية الحديثة مع الأدب العربي القديم.
- إبراز تأثير البيئة في تكوين الرؤية الشعرية للشريف العقيلي، عن طريق تحليل أثر المكان والزمان في تشكيل تجربته الفنية.
- إبراز القيم البيئية في شعر الشريف العقيلي ومدى ارتباطه بالمفاهيم الحديثة مثل الاستدامة والوعي البيئي.

تساؤلات البحث:

- ما مفهوم الخطاب الإيكولوجي؟ وما أصوله؟ وهل من الممكن أن يخضع النص الأدبي للدراسة النقدية البيئية؟
- هل يوجد لدينا في الأدب القديم نصوص ذات عطاء إيكولوجي يصلح لتطبيق الرؤية الإيكولوجية؟
- هل هناك وعي إيكولوجي عند الشريف العقيلي. وما أهم الآليات التي مثلت هذا الوعي؟

- هل يعّدُ كل وصف للبيئة أدبًا بيئيًّا؟ وهل هناك شروط للأدب للبيئي؟
- هل حقق الشريف العقيلي شروط الأدب البيئي في شعره؟
- كيف يشارك منظور الإيكولوجيا الأدبية في إعادة قراءة شعر الشريف العقيلي وتفسيره بمعايير معاصرة؟
- كيف بُنيت الرؤية الإيكولوجية داخل شعر الشريف العقيلي؟
- كيف تجلت القيم البيئية (الإيكولوجية) في شعر الشريف العقيلي؟ وما مدى وعيه البيئي في تصويره للطبيعة والبيئة المحيطة؟

المنهج المتبع في الدراسة:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من منظور النقد الإيكولوجي، فهو "دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة الطبيعية، وكيفية تمثيل النصوص الأدبية للطبيعة وتأثيرها في الوعي البيئي"([1])، ويعرفه (لورانس بويل Lawrence Boyle) بأنه" نوع من النقد الأدبي يهتم بإبراز علاقة الأدب بالطبيعة، ويؤكد ضرورة تمثيل العالم الطبيعي بطريقة تحفز القارئ على تبني مواقف بيئية مسؤولة"([2])، كما يقول (عبدالرحمن طايع) عنه هو" نقد يتعامل مع النصوص الأدبية بوصفها كيانات لها علاقة بالبيئة الطبيعية والثقافية، ويبحث في مدى تعبيرها عن القيم البيئية أو تشويهها لها"([3]).

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث فيما تمكن من مطالعته من رسائل جامعية، ودراسات أكاديمية، وأوراق بحثية، وكُتب نقدية على دراسة مستقلة تناولت (شعر الشريف العقيلي من منظور إيكولوجي) محتوىً أو منهجا نقديا، بيد أن عددًا من الدراسات السابقة التي

[1])- شريل غلوفلتي، قراءات في النقد البيئي، ترجمة: إبراهيم محمود، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٩م، ص١٥

[2]) – الخيال البيئي: ثورو والكتابة عن الطبيعة وتكوين الثقافة الأمريكية، ترجمة : سعيد توفيق، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٣

[3]) – في النقد البيئي: من النظرية إلى التطبيق، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م، ص١٩

تماسَّت مع موضوع دراستي، أو تقاربت معها في المحتوى مع اختلافها في الهدف والفكرة والظاهرة المدروسة قدَّمته أقلام الباحثين ورؤى النقاد والأساتذة الجامعيين ومن بين هذه الدراسات:

- جودة أمين، في الطبيعة والشعر، مكتبة أم القرى، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- سهير عوض السيد محمد، الصورة الفنية في شعر الشريف العقيلي، ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، السودان، ٢٠١٤م نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/620881
- شيماء نجم عبد الله، الأنا في شعر الشريف العقيلي، جامعة بغداد، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية / ابن رشد، العراق، ع(٢١٠)، ٢٠١٤م، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/6715
- يسري عبد الفتاح حسن عبد الموجود، بناء الجملة في شعر الشريف العَقِيلي دراسة نحوية دلالية، حوليات آداب عين شمس، مج(٤٥)، ع(١)، يناير – مارس ٢٠١٧م، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني:
https://journals.ekb.eg/article_16435.html
- نور مظهر علي عبد، شيماء نجم عبدالله، المكان في خمريات الشريف العقيلي، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، جامعة بغداد، العراق، ع (٦٢)، ديسمبر (٢٠٢٠م)، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني:
https://www.jalhss.com/index.php/jalhss/article/view/373
- سرحان حسن سرحان محمد، التشبيه في شعر الطبيعة للشريف العقيلي ت ٤٥٠هـ، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق – جامعة الأزهر، ع(٤٢)، ٢٠٢٢م، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني:
https://journals.ekb.eg/article_277726.html

خطة الدراسة: اقتضت طبيعة الدراسة وموضوعها تقسيمها إلى ما يلي:

- المقدمة: وتشمل (أهمية الموضوع ودوافعه، وتساؤلات الدراسة، والمنهج المتبع في الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة).
- التمهيد: ويشمل الآتي:
  - مفهوم الإيكولوجيا ونشأتها.
  - الشاعر والبيئة.
- المبحث الأول: تمثلات الرؤية الإيكولوجية في شعر الشريف العقيلي.
  - القيم البيئية.
  - أخلاقيات البيئة أو الإطيقا الإيكولوجية.
  - المكون البيئي.
- المبحث الثاني: التشكيل الفني الإيكولوجي وأثره في اختيار الوسائل الفنية في شعر الشريف العقيلي.
  - المعجم الإيكولوجي.
  - الخيال الإيكولوجي.
  - التناص الإيكولوجي.
- الخاتمة.
- ملحق بالمصطلحات المستخدمة في الدراسة.
- قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

تتضمن الدراسة الإيكولوجية دراسة البيئة، وتحليل أزماتها، كما يتسم هذا النوع من الدراسات بنوع من التعقيد والصعوبة؛ لأنه يحتوي على مجموعة من العلاقات المتبادلة التي تتداخل فيما بينها أهمها؛ العلاقة المادية: وتشمل دراسة العناصر المادية في الطبيعة، والعلاقات الحية، وهذا يشمل دراسة علاقة الكائنات الحية بالإنسان وارتباطها بالواقع الإيكولوجي، كما تُناقش الدراسة الإيكولوجية كلاً من: تنمية الذوق الجمالي للبيئة، وأخلاقيات البيئة... إلخ ويمثل النقد الإيكولوجي/ البيئي اتجاهًا حديثًا في مجالات الدراسات الأدبية، وذلك من أجل معرفة قيمة البيئة ومكانتها داخل العمل الأدبي، والدور الذي تؤديه في تشكيل أدوات الخيال/التصوير الفني للشاعر أو الكاتب للنص الأدبي، بالإضافة إلى استخدام المبدع وسائل(تداولية– سيميائية – أسلوبية – بنيوية) بعينها حتى يوضح مدى تأثره بالبيئة التي نشأ فيها. ومن هنا نتطرق إلى عدة تسأولات؛ ما مفهوم الإيكولوجيا/النقد البيئي؟ وكيف نشأت وتطورت؟ وهل من الممكن ربط النظريات العلمية والعلوم الصحيحة بالدرس الأدبي؟ وكيف تتجلى علاقة الإنسان بالبيئة في النصوص الأدبية؟

أولا: مفهوم الإيكولوجيا ونشأتها:

ظهر النقد الإيكولوجي/ البيئي كتطور طبيعي لنظريات النقد الأدبي فيما بعد الحداثة، فأصبح " فرعًا من فروع النقد الأدبي المعاصر، ونسقًا من أنساق الدراسات الثقافية التي تعني بدراسة البيئة، والطبيعة، والأرض، والحياة في الخطابات الإبداعية؛ لرصد رؤى الكُتَّاب تجاه البيئة، بعد أن فقدت كثيرًا من مزاياها بسبب التلوث الصناعي، وقسوة الرأسمالية، وتنامي الفوقية البشرية على التمثلات الطبيعية" ([1])، ولم

([1])- Arne Naess, Ecology community and life style, trans by David Rothenberg, Cambridge university, press,1987, p23

تقتصر تسميته بهذا المصطلح فقط، إنما عُرف بمصطلحات أخرى، ومنها: الشعرية أو البوطيقيا البيئية والدراسات الثقافية الخضراء([1])، واستعمل مصطلح النقد الإيكولوجي/ البيئي في الأدبين الأميركي والأوربي، حيث انطلقت الشرارة الأولى من مقال للناقد الغربي (ويليام روكارت Willim Rueckert) عام (١٩٧٩م) وكان تحت مسمى (الأدب وعلم البيئة: تجربة في النقد البيئي)، ويذكر الدكتور (جميل حمداوي) ذلك حينما يقول: هو "أول مَن استعمل مصطلح النقد البيئي لدراسة العلاقات الموجودة بين الأدب والبيئة، بما فيها المكان، والطبيعة، والأرض، والحياة، وذلك في أواخر سنوات السبعين من القرن العاشر الميلادي"([2])، ويشير بعض الباحثين ([3]) أن بدايات الاهتمام بالبيئة ترجع إلى كتاب (ربيع صامت) لراشيل كارسون، الذي نُشر عام (١٩٦٢م)، ودعا (جلين لوف Glen A.Love) "في خطاب له إلى (نقد أدبي بيئي) أمام الجمعية الأمريكية الغربية للأدب، لينشر هذا الخطاب في دورية (Wester American Literature) عامًا بعد ذلك، وكانت دعوته هذه حافزًا لمجموعة من الباحثين الشباب الذين التقاهم عام (١٩٩٩م) لتأسيس جمعية لدراسة الأدب

نقلا عن : إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع (٣٣)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://journal.uokufa.edu.iq/index.php/jall/article/view/254/214 ص٢٤

([1]) – ينظر: جميل حمداوي، حسن إعراب، النقد البيئي أو الأيكولوجي في الأدب والفن، دار الريف للنشر والطبع الإلكتروني، المغرب، ط١، ٢٠٢٠م، ص٤٤

([2]) – جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، ص٢٩٦، وهذه نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني (WWW.alukah.net) بتاريخ ٩/٨/ ٢٠٢٤م.

([3]) – ينظر: مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجية الجذرية، ترجمة: معين شفيق رومية سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم (٣٣٢)، شهرأكتوبر، ٢٠٠٦م، ص١٦-١٧، بيبا مارلاند، النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، منشورات دار شهريار للنشر والتوزيع، البصرة، ط١، ٢٠٢١م، ص١٠، تهاني قليل أحمد الرفاعي الجهني، تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبدالعزيز مشري: مقاربة في ضوء النقد البيئي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع (١٢)، يونيو (٢٠٢٤)، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/147755 ص٤١٤ ، إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص٢٥

والبيئة"([1])، كما كان من ضمن المنظرين لتلك النظرية: (جوناثان باث) في كتابه (البيئة الرومانتيكية)، ورئيس جمعية (الأدب والبيئة) البريطانية (جرج جيرارد) في دراساته: (النقد البيئوي)، و (الإبداع والبيئة)، و(غياب النباتات الأزلية)، و(شيرل بورغيس غلوتفيلي، وهارولد فروم) في (مجموعة مختارة من النقد البيئي: أعلام أدب علم البيئة) في عام ١٩٩٦م([2]).

وقد اهتم مجموعة من الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية بالدراسات البيئية، ومنهم الناقد الأمريكي (لورنس بويل Lawrence Buell) حيث وضع الأسس النظرية لنقد يتجاوز ما تقدمه متضمنات الفلسفة البنيوية وسائر المقاربات المعتمدة في تحليل النصوص الأدبية، مقترحًا مقاربة صاغها في كتابه (التخييل البيئي The Environmental Imagination) مستلهمًا فيها السيرة الذاتية الشهيرة للشاعر والكاتب الأمريكي (هنري ثورو Henry D. Thoreau) الموسومة بـ (العيش بين الأحراش Walden, life in the woods)، ليسلط الضوء على ما تزخر به السرود الأمريكية من طرح مثير لموضوع البيئة، يفسر في رأيه مظاهر من أركيولوجيا الفكر والذهنية الأمريكيتين([3]). ومن الذين عنوا بالبحث البيئي أيضا (ورالف والدو امرسون،

([1]) – إسلام محمد السباعي راضون، سمات خطاب السرد الإيكولوجي في نماذج من قصص الأطفال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ع (٤٣)، ديسمبر ٢٠٢٢م، ، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://journals.ekb.eg/article_302006_0.html ص ١٥١-١٥٢

([2]) – ينظر: إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، ص٢٧، فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق: دراسة لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري عبدالملك بو منجل، مخبر الدراسات الصحروية، جامعة طاهري محمد بشار، مج(١٢)، ع (١)، ٢٠٢٣، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/222577، ص٤٧٠، ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٨م، ص١٣٦-١٣٧، مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية (من علم الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ٣٩١/١

([3]) – Lawrence Buell, The Environmental Imogination, Thoreau nature Writing and The formation of American culture, Paperback, (1) September, 1996

نقلا عن: بسمة عروس، النقد الإيكولوجي ومستقبل الدرس الأدبي، مجلة إتحاد الكتاب التونسيين، ع (٣)، (أبريل ٢٠٢٢)، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني https://search.mandumah.com/Record/1282741 ص١٨٦

وجون منبير) و (مايكل زيمرمان) أستاذ الفلسفة في جامعة تولان الذي ألف كتاب (الفلسفة البيئية)([1]).

أمّا عن الجهود العربية، فقد كثرت الدراسات النقدية لهذا الاتجاه في السنوات العشر الأخيرة، قد استطاع الباحث (حفناوي بعلي[2]) توظيف مصطلح (النقد الإيكولوجي) في كتابه (مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن) وذلك في عام (٢٠٠٧م)، ثم جاءت دراسة (عبدالحميد أحمد الحسامي[3]) التي تحمل عنوان (الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي) في عام (٢٠٠٩م)، ثم جاء (محمد أبو الفضل بدران[4]) بدراسة بعنوان (النقد الأدبي البيئي، النظرية والتطبيق) في عام (٢٠١٠م)، ثم كتب بحثًا آخر في عام (٢٠١٥م) بعنوان (أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية[5])، وقد كتب (محمد بن يحيى أبو ملحة[6]) بحثًا في عام (٢٠١٢م) بعنوان (قصص إبراهيم مضواح، دراسة من منظور إيكولوجي)، ثم وجدنا مقالة في عام (٢٠١٦م) بعنوان (هل سمعت بالنقد البيئي) للكاتب (سعيد يقطين[7])، ثم قدَّم (ضياء

([1]) – ينظر: إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، ص٢٨

([2])- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م، صص١٠٩- ١٤٨

([3])- عبدالحميد أحمد الحسامي، الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، مجلة (علامات في النقد الأدبي)، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج (١٧)، ج(٦٨)، فبراير ٢٠٠٩- صفر ١٤٣٠، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://ibbuniv.edu.ye/journals/index ، صص٢٤٥-٣٠٤

([4]) - محمد أبو الفضل بدران، النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط١، ٢٠١٠م.

([5]) - محمد أبو الفضل بدران، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي للغة العربية، صص ١٩٣-٢٠٤ نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني بتاريخ ٢٤-٢/٩/١٠ https://www.alarabiahconferences.org/wp-content/uploads

([6]) - محمد بن يحيى أبو ملحة، قصص إبراهيم مضواح، دراسة من منظور إيكولوجي، بحث منشور بمجلة تواصل، جامعة عدن، ع (٢٨)، يناير ٢٠١٣، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/60096 صص٢١١-٢٣١

([7]) - سعيد يقطين، هل سمعت بالنقد البيئي؟ نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://thaqafat.com/2016/11/69209 بتاريخ ٢٠٢٤/٩/١١م.

عبدالرحمن[١]) في عام (٢٠١٦م) دراسة بعنوان (مقاومة بيئية في شعر محمود درويش)، ثم جاءت أطروحة دكتوراه عام (٢٠١٧م) بعنوان (الشعر العربي في العصرين الإسلامي والأموي في ضوء النقد الأدبي البيئي، نماذج مختارة) للباحثة (فاطمة الزهراء[٢])، وتعدُّ هذه الدراسة أول دراسة نقدية للنقد البيئي في الأدب القديم، وقد طبعت هذه الدراسة في كتاب بعنوان (النقد الأدبي البيئي، قراءة جديدة في الشعر القديم/ج١[٣])، ثم تعاقبت الدراسات في هذا المجال منها: البيئة ظهورًا شعريا للباحث (محمد فاضل المشلب[٤]) عام (٢٠١٨م)، المكان في شعر الاتجاه الرومانسي، دراسة في النقد البيئي للدكتورة (هناء محمد مصطفى[٥]) عام (٢٠١٨م)، الدراسة والنقد الإيكولوجي لأشعار جواد جميل وطاهر صفر زاده للكاتب (علي رومي بور[٦]) وآخرين عام (٢٠١٨م)، نسق النسوية البيئية في رواية (حديقة حياة) للطيفة الدليمي للكاتبة (إيمان مطر السلطاني[٧]) وآخرين عام (٢٠١٩م)، النقد الإيكولوجي وتجلياته في روايتي روايتي (حرب الكلب الثانية) لإبراهيم نصر الله، و(إسكندرية ٢٠٥٠م) لصبحي

(١) - ضياء عبدالرحمن، مقاومة بيئية في شعر محمود درويش، مجلة الدبيل، مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، حيدر آباد، الهند، مج (١)، ع(١)، يناير ويوليو ٢٠١٦، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/792757 صص١٧١-١٨٨

(٢) – فاطمة الزهراء محمد فوزي، الشعر العربي في العصرين الإسلامي والأموي في ضوء النقد الأدبي البيئي، نماذج مختارة، دكتوراه، جامعة جنوب الوادي بقنا، كلية الآداب، ٢٠١٧م.

(٣) – فاطمة الزهراء محمد فوزي، النقد الأدبي البيئي، قراءة جديدة في الشعر القديم/ج١، دار الأدهم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.

(٤) - محمد فاضل المشلب، البيئة ظهورًا شعريا مقاربة نقدية في أشعار طالب عبدالعزيز، مجلة فصول، مج(٢/٢٦)، ع(١٠٢)، شتاء ٢٠١٨، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/97775 ، صص٤٢٣-٤٣٦

(٥) - هناء محمد مصطفى، المكان في شعر الاتجاه الرومانسي، دراسة في النقد البيئي، مجلة سرديات، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع (٣٠)، ديسمبر ٢٠١٨م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://sardiat.journals.ekb.eg/article_89157.html صص١٨٥-٢١٨

(٦) - علي رومي بور، الدراسة والنقد الإيكولوجي لأشعار جواد جميل وطاهر صفر زاده، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، مج (١٠)، ع (٣٧)، ٢٠١٨، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.researchgate.net/publication/373354554_ ،-صص(٩٣-١١٤).

(٧)- إيمان مطر السلطاني وآخرين، نسق النسوية البيئية في رواية (حديقة حياة) للطيفة الدليمي، بحث منشور منشور بمجلة (Route Education and Social Science Journal)، هذه المجلة تصدر عن أكاديمية ريس للنشر، تركيا، ع (٦/٢)، يناير٢٠١٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.ressjournal.com/DergiTamDetay.aspx?ID=1811 صص٦٢٦-٦٥٢

الفحماوي للدكتورة (أسماء إبراهيم حسين[١]) عام (٢٠٢٠م)، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، للدكتورة (إيمان مطر السلطاني[٢]) وآخرين عام (٢٠٢١م)، وصورة الضب في المثل العربي القديم، مقاربة في مرآة النقد البيئي للدكتور (صابر محمد السيد جويلي[٣]) عام (٢٠٢١م)، البيئة في مجموعة أسامة العيسة القصصية (رسول الإله إلى الحبيبة) من رؤية النقد البيئي، ومنظور الماركسية البيئية، لـ (خليل عبدالقادر يوسف عيسى[٤]) عام (٢٠٢١م)، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي للدكتور(محمد عبدالناصر محمد العنتبلي[٥]) عام (٢٠٢٢م)، الأثر الإيكولوجي في رثاء بغداد للخزيمي لـ (آمال يس عبدالخالق حسين[٦]) عام (٢٠٢٢م)، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور، للدكتور (هاني علي سعيد[٧]) عام (٢٠٢٢م)،

---

(١) - أسماء إبراهيم حسين ، النقد الإيكولوجي وتجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية) لإبراهيم نصر الله، و(إسكندرية ٢٠٥٠م) لصبحي الفحماوي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، ع(٥)، ج(٤)، ٢٠٢٠م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/1118248 ، صص٩٧٤-١٠٤٥

(٢) - إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، مرجع سابق، صص ١٢-٤٠

(٣)- صابر محمد السيد جويلي، صورة الضب في المثل العربي القديم، مقاربة في مرآة النقد البيئي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، ع(٦)، ج(٣)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://jcia.journals.ekb.eg/article_198656.html ، صص٩٩٩-١٠٦٤

(٤) - خليل عبدالقادر يوسف عيسى، البيئة في مجموعة أسامة العيسة القصصية (رسول الإله إلى الحبيبة) من رؤية النقد البيئي، ومنظور الماركسية البيئية، مجلة أوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، مج (٣)، ع(١٥)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.awraqthaqafya.com/1419/ ، صص٢٧-٤٦

(٥)- محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، حولية كلية اللغة العربية بنين جرجا، جامعة الأزهر، مج(٢٦)، ج(٥)، ديسمبر ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://bfag.journals.ekb.eg/article_277541.htm ، صص ٤٣٣٩- ٤٤٠١

(٦) - آمال يس عبدالخالق حسين ، الأثر الإيكولوجي في رثاء بغداد للخزيمي، مجلة كلية الآداب- جامعة الفيوم، مج (١٤)، ع(١)، يناير ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://jfafu.journals.ekb.eg/article_187512_601db15d1b9da28ccf219c898f92af4a.pd صص١٢١٩-١٢٥٢

(٧) - هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب- جامعة كفر الشيخ، مج(٢٦)، ع (٢) يناير ٢٠٢٢م، https://shak.journals.ekb.eg/article_226641.htm صص ٤٥٦-٤٩١

النقد البيئي: الرؤية والتطبيق: دراسة لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري عبدالملك بومنجل لـ (فريد عوف[1])، عام (٢٠٢٣م)، أنسنة الطبيعة الصامتة في شعر ابن خفاجة ت ٥٣٣هـ: دراسة في ضوء النقد البيئي (الإيكولوجي) لـ (إسلام ربيع السعيد عطية[2]) عام (٢٠٢٣م)،النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، للمؤلف (بنين سمير عيسى) و (علي مجيد داود[3]) عام (٢٠٢٤م)، تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبدالعزيز مشري: مقاربة في ضوء النقد البيئي للباحثة (تهاني قليل أحمد الرفاعي[4]) عام (٢٠٢٤م)، مقاربة إيكولوجية للسرد الروائي العربي رواية النباشون لسوسن جميل حسن أنموذجًا للباحثة (شيماء محمود خليفة[5]) عام (٢٠٢٥م)، وغيرها من المقالات المنشورة عبر شبكة الإنترنت.

ومن هنا يمكننا القول: إن النقد الإيكولوجي هو درس نقدي جديد تعددت مسمياته، بسبب تعدد المدارس النقدية وتنوعها، فهو يهتم بعلاقة الإنسان بالبيئة، كما يكشف عن أهمية الطبيعة والمكان والبيئة وتفاعلهم مع الأدب، حتى نستطيع أن نخلق للمبدع بيئة ثقافية تساعد على الفكر والأخلاق والإبداع. كما جاء النقد الإيكولوجي ليعيد النظر في علاقة الإنسان بالبيئة والطبيعة.

---

(1) - فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق: دراسة لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري عبدالملك بومنجل، مرجع سابق، صص٤٦٣-٤٨٣

(2) - إسلام ربيع السعيد عطية، أنسنة الطبيعة الصامتة في شعر ابن خفاجة ت ٥٣٣هـ: دراسة في ضوء النقد البيئي (الإيكولوجي)، مجلة كلية الآداب-جامعة دمياط ، مج (١٢)، ع (٦) نوفمبر و ديسمبر ٢٠٢٣م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://journals.ekb.eg/article_377062.html . صص ٢٢٩-٢٨٤

(3) - بنين سمير عيسى و علي مجيد داود ، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العراق، ع (٥٧)، مايو ٢٠٢٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.ijohss.com/index.php/IJoHSS/article/download/702/6 صص٥٣-٦٨

(4)- تهاني قليل أحمد الرفاعي ، تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبدالعزيز مشري: مقاربة في ضوء النقد البيئي، مرجع سابق، صص ٤٠٧-٤٤٦

(5) - شيماء محمود خليفة، مقاربة إيكولوجية للسرد الروائي العربي رواية النباشون لسوسن جميل حسن أنموذجًا، أنموذجًا، مجلة جامعة مصر للدراسات الإنسانية (اللغويات والأدب) مجلد(٥)، ع(١)، يناير ٢٠٢٥م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://mjoms.journals.ekb.eg/article_400521.html، صص ١٥٥-١٩٤

لم يقف النقاد والباحثون على تعريف محدد للنقد الإيكولوجي، فلذلك كثرت التعريفات الخاصة بهذا المنهج، ولكنها تدور حول عدة مفاهيم أهمها: ربط الأدب بالبيئة، والمكان، والطبيعة، والأرض، أو بمعنى أدق هو العلم الذي يدرس البيئة في علاقتها مع البشر، أو الكشف عن العلاقات التي تربط العنصر الحي (البشر) بالعناصر غير الحية في العمل الأدبي، وقد عرَّفه (جرج جيراد) بقوله:"دراسة العلاقة القائمة بين الأدب والبيئة المادية"([1])، وأراد من خلال ذلك أن يجعل الطبيعة أو المكان أو البيئة كالإنسان، فهي تتفاعل وتتجاوب مع مختلف الكائنات (الإنسان– الحيوانات) بهدف التأثير فيهم، حتى يستطيع الإنسان البقاء على هذه البيئة ويؤثر فيها ويتأثر بها، كما يعرفه (إيرين جيمس وأريك موريلا) بأن:"دراسة العلاقات بين الإنسان والطبيعة في الأدب والفيلم والأنواع الثَّقافية الأخرى"([2]). وتناول (مايكل برانش) تعريف الأدب الإيكولوجي بقوله: "هو ذلك الفرع من النقد الإيكولوجي الذي يركز على نحو خاص على العناصر الثقافية، اللغة والأدب وعلاقتهما بالبيئة، إنه موقف نقدي يضع إحدى قدميه في الأدب والأخرى على الأرض"([3])، ونستنتج من خلال هذا التعريف أن النقد الإيكولوجي يركز على السياقات المختلفة والعناصر الثقافية المتعددة وعلاقتهما بالبيئة، مما يجعل النقد الإيكولوجي منفتح على الثقافات الأخرى.

وذكر (جميل حمداوي) أنّه: "ذلك النقد الذي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية والإبداعية في ضوء نظريات بيئية إيكولوجية متنوعة ومختلفة، تبحث عن مكانة البيئة، أو الطبيعة، أو المكان، أو الأرض، أو الحياة داخل الإبداع الأدبي والفني

([1]) – جرج جيراد، النقد البيئوي، تر: عزيز صبحي جابر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٠

([2]) – إيرين جيمس وأريك موريلا، مقدمة للنقد البيئي ونظرية السرد، النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، شهريار، البصرة، ط١، ٢٠٢١م، ص٢٣٠

([3]) – مايكل برانش، النقد الإيكولوجي، الطبيعة في النظرية والممارسة الأدبيتين، تر: معين رومية، دورية نوافذ، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، ع(٣٦)، جمادى الأولى١٤٢٨هـ- مايو ٢٠٠٧م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: http://maaber.50megs.com/issue_june08/literature2.htm ، ص ٤٤

بالتنظير، والتحليل، والقراءة، والفحص، والدراسة؛ بغية رصد رؤى الكتاب والمبدعين والمثقفين تجاه البيئة، ولا سيما بعد ظهور الحركات والجمعيات والمنظمات والنوادي الداعية إلى الاهتمام بالبيئة"([1])، وهذا يعني أن النقد الإيكولوجي يهتم بدراية كيف تؤثر البيئة في النصوص الأدبية؟ وكيف يمكننا قراءة النصوص بشكل يجعلنا نشعر بقيمة المكان الذي حولنا، ويرى (محمد أبو الفضل بدران) أن النقد الإيكولوجي تكمن دراسته في" علاقة ما بين الأدب والبيئة الطبيعية؛ بحيث نلمح الوعي البيئي والخيال البيئي في النص"([2])، وعرَّفه (أبو المعاطي الرّمادي) بأنّه: "النص الذي يَعرض المشكلات البيئية ويقدم لها الحلول، وينشر الوعي البيئي، الصادر عن أديب يحمل همًّا بيئيًّا، ووعيًا إيكولوجيًّا، ويؤمن بأنَّ الطبيعة الفطريَّة هي السياج الأمثل لسلامة الإنسان على سطح الأرض، يبرز فيه إحساس الكاتب بالبيئة وبالمخاطر البشرية المغيرة لتكوينها الطبيعي الفطري"([3])، ويتضح من خلال هذا التعريف أن النقد البيئي/ الإيكولوجي بدراسة العلاقة بين النص الأدبي والطبيعة بهدف عرض المشكلات البيئة وتقديم الحلول لها، إضافة إلى الدور المهم الذي تؤديه الطبيعة في حياة البشر، فهي الأمن والأمان للمبدع حتى يظهر منتوجه الثقافي، في حين نجد أن الأدب الإيكولوجي عند (خميس آدمي) هو" الذي يتولى مهمة النظر في النصوص الإبداعية ذات التوجه البيئي في محاولة قراءتها وتحليلها وتفكيك خطابها"([4]).

ومن هنا يمكننا القول: إنَّ الأدب الإيكولوجي هو دراسة وجود البيئة داخل النصوص الأدبية، أو العلاقة بين الشاعر والبيئة، من حيث كون الشاعر يحمل همًّا

([1]) – جميل حمداوي، حسن أعراب، النقد البيئي أو الإيكولوجي في الأدب والفن، مرجع سابق، ص٤٤-٤٥

([2]) – محمد أبو الفضل بدران، النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)، مرجع سابق، ص٦٦

([3]) – معجب العدواني، مدخل إلى النقد البيئي ، ضمن كتاب النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، تحرير: أبو المعاطي الرمادي، ومعجب العدواني، مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، ٢٠٢٢م، ص١٤

([4])- خميس آدامي، من أجل لغة خضراء – محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة أبوليوس، كلية الآداب واللغات -جامعة محمد الشريف مساعدية، مج (٨)، ع(٢)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/16272 ، ص١١٠-١١١

بيئيًّا، حيث يعرض من خلالها إحساس المبدع بالبيئة، والكشف عن المخاطر البيئية التي يجب أن ينتبه لها الإنسان، أو كيف تؤثر البيئة في النصوص الأدبية، وذلك بدراسة الجوانب الثقافية والنفسية والاجتماعية التي تؤثر في شخصية المبدع، حتى نعرف السبب الرئيسي وراء اهتمام المبدع بحضور البيئة داخل النص الأدبي.

ثانيًا: الشاعر والبيئة:

أ- حياته ونشأته:

الشريف العقيلي هو "أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة بن محمد بن عبدالله بن محمد من ولد عقيل بن أبي طالب، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكنيته أبو الحسن، من أهل مصر"([1])، و كان "من الأشراف الطالبيين الذين ظلت منهم فئة تعيش في مصر، وأقاموا لهم نقيبًا منهم، وأشهرهم بنو طباطبا، وقد كان منهم النقيب عند مجيء المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر"([2])، ولد وعاش بمدينة الفسطاط بمصر حسبما ذكر (ابن سعيد الأندلسي)، حيث قال:" كان في المئة الرابعة وكان له متنزهات بجزيرة الفسطاط"([3])، كما أن الشريف العقيلي قد جاء في القرن الخامس الهجري، وعاش في محنة الشهدة العظمى، وهي تلك المحنة التي جاءت في زمن المستنصر بالله، وكان يعيش حياة مليئة بالرفاهية والملذات والبذخ واللهو، حيث كان" يحيا كما يحيا الأمراء والرؤساء ذوو الإقطاع الذين بدر عليهم الثراء والأنعم المتوالية" ([4])، فلذلك لم يتجه إلى مدح الملوك والسلاطين كما ذكر (ابن سعيد) في

([1]) – ينظر:الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ٣٤٠/٦، الشريف العقيلي، الديوان، تحقيق: زكي المحاسني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، مقدمة المحقق، ص٢٣، محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٩٧٣،١م ، ١٨/٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العري، بيروت- لبنان، ١٩٥٧م، ٢٦٥/٧

([2]) – محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الشعر والشعراء، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩٢م، ص١٠٢

([3]) – ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، القسم الخاص بمصر، تحقيق: زكي محمد حسن، وشوقي ضيف، وسيدة كاشف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٢٠٥

([4]) – الشريف العقيلي، الديوان، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٥

كتابه (المُغرب في حلي المغرب) حيث قال:" لم يكن يشتغل بخدمة سلطان ولا مدح أحد"([1])، ونستنتج من خلال تلك العبارة، أن هذا الشاعر لم ينشد الشعر بغية التكسب كغيره من شعراء عصره، بل كان شعره مرآة صادقة لما يقولد، كما يدور معظم شعره "حول حياته الخاصة، وما يعتاده من مجالس الشراب والغناء، والطرب، واللهو، وما يصفه من مباهج الطبيعة والحياة، وما يعرض له أحيانًا من أحداث وهموم الحياة"([2]).

وقد "أبدع الشريف العقيلي في وصف الفسطاط ومناظرها، والتغني بطبيعة مصر ومظاهرها"([3])، وما "بين حدائقها الغناء، وبساتينها النضرة، وجداولها الرَّقراقة، وقصورها المزخرفة، طَرِب وصَدَح، وحَزِن وفَرح، أُولِع بها حتى هامَ، وعاقر خمرها حتى ثَمِل، فطابتْ له الحياةُ بملذَّاتها، ومضى يصوِّر جَمالَها، ويَعزِف على قيثارته ليُطربَ روُحَه ويؤنسها..."([4]).

ومما لا شك فيه، أن المصادر العربية وكتب تاريخ الأدب العربي لم تُشر إلى هذا الشاعر إلا بمعلومات قليلة ومتناثرة، وأخبار قليلة، ولكن نلحظ أن حياته كانت مترفة وسخية، له الكثير من الحدائق والبساتين، مما جعله مكتفيًّا بما عنده ومبتعدًا عن السلطة، فلذلك قلّت أخباره، ومتابعة حياته، كا أنَّ الشاعر أعجبته الطبيعة بجمالها، وحدائقها، وبساتينها، ومناظرها الخلابة، فاهتم بها، وأبدع في وصفها، بهدف المحافظة على تلك البيئة التي تسهم بشكل كبير في بقاء البشرية.

([1]) – ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، القسم الخاص بمصر، مرجع سابق، ص٢٠٥

([2]) - محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الشعر والشعراء، مرجع سابق، ص١٠٣

([3]) - سهير عوض السيد محمد، الصورة الفنية في شعر الشريف العقيلي، ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، السودان، ٢٠١٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/620881 ، ص٥

([4]) - سرحان حسن سرحان محمد، التشبيه في شعر الطبيعة للشريف العقيلي، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مج (٤٢)ع (٤٢)، ٢٠٢٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://journals.ekb.eg/article_277726.htm ، ص١٩٨٣

ب- البيئة والطبيعة في شعره:

كان الشاعر (الشريف العقيلي) يعيش في العصر الفاطمي، فذلك العصر يتمتع ببيئة مصرية تتميز بالثراء والجمال والروعة، فكانت تلك البيئة مصدرًا لإبداع الشعراء، حيث: "عاش شعراء مصر على ضفاف النيل، وفي وديانه ورياضه، ينعمون بمياهه العذبة، وبما ينشئ من غروس وزروع وثمار وأزهار، وهو يجري نافثًا لعابه من حوض إلى حوض باثًا الحياة والجمال في كل ما يمسّه، مما جعل العرب يلقبون مصر حين فتحوها بأنها فردوس الدنيا..."([1]). فلذلك كان الشعراء في العصر الفاطمي هم الجديرون بالتعبير عن بيئتهم، والمناخ الجمالي الملائم لها، "فالأدب نتاجًا للبيئة، وشخصية الأديب"([2]).

وقد كان الشريف العقيلي ممن تغنوا بالبيئة عامة، والطبيعة خاصة، و"إنه ليُعدّ من أبرز شعراء الطبيعة في أدب العرب، وهم قلّة على اختلاف العصور، وما أشبه العقيلي- في حب الطبيعة وتعشُّق جمالها وفنونها- بابن خفاجة الأندلسي"([3]) وقد أشار كثير من المؤرخين إلى أن الروضيات في شعر الشريف كانت من أهم أشعاره وأجملها، وتشير هذه الروضيات إللى جانبين مهمين من الجوانب التي تميز شعر الشريف العقيلي([4]):

- الأول: تمتع الشاعر بمقدرة فنية جلية في استخدامه المتميز للألفاظ والتراكيب لا سيما الاستعارات التي برع في استخدامها، بل عُدّ من أكثر الشعراء الذين برعوا فيها، والتشبيهات بجانب التورية والجناس والمطابقة وغيرها.

([1]) – شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (مصر)، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥م، ص٣٢٢
([2]) – جودة أمين، في الطبيعة والشعر، مكتبة أم القرى، الكويت، ط١، ١٩٨٤م ، ص١٢
([3]) - الشريف العقيلي، الديوان، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص١٨
([4]) – سهير عوض السيد، الصورة الفنية في شعر الشريف العقيلي، مرجع سابق، ص٥

- الصدق والتلقائية في شعره مما جعله ينظم الشعر على طبيعته، فما كان متكلفًا ولا متملقًا في شعره، فجاء شعره انعكاسًا حقيقيًّا لنفسه الشاعرة وصورة لسلوكه ونزعاته بجانب عكسه لحياته الخاصة.

وهنا لا بد أن نطرح سؤالا مهما وهو هل تتوافر في ديوان الشريف العقيلي شروط الأدب الإيكولوجي؟ وهل هناك سمات للنقد الإيكولوجي؟ وهل كل نص أدبي يصلح أن يكون نصًا ضمن الأدب الإيكولوجي؟ عندما قمت بالقراءة والتدقيق حول الإجابة على هذه الأسئلة، وجدت الكثير من الباحثين([1]) قد وضعوا الكثير من الشروط التي يجب توافرها لكي يصبح النص إيكولوجيًا ومنها:

- أن يحسن تمثل معالجة الأضرار التي حاقت بالمنظومة الطبيعية، ويشارك في نشر الوعي البيئي.
- إحساس الكاتب بالبيئة، فلا بد أن يحاور الأديب هذه البيئة داخل النصوص الأدبية، ويتفاعل معها عبر تمثلات واعية.
- أن يحمل مبدعه همًّا بيئيًّا، وأن يختار أفكار الامتزاج والاندماج بالطبيعة داخل النص، والاحتماء بها، وأن تُعلي هذه النصوص من مبدأ التحول من الاجتماعي إلى الطبيعي.
- أن تدعم لغتُه، معجمًا وتراكيب، وأن يحسن المبدع التعبير عنها جماليًّا بخيال أخاذ يكون مسؤولا عن تربية الذوق الطبيعي عند المتلقي، وتنمية الحاسة الأخلاقية والجمالية في تعامله مع المنظومة البيئية.
- عناية الأدب دومًا بإبداع وتجديد الإحساس بالمكان.
- ممارسة التأثير على الطريقة التي يجري بها إبداع النصوص الأدبية، وتأويلها.

([1]) – ينظر: هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور،، مرجع سابق، ص٤٦٤- ٤٦٥، فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق: دراسة لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري عبدالملك بومنجل،، مرجع سابق، ص٤٦٧، عبدالحميد أحمد الحسامي، الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، ص١٤٤

وبعد قراءة ديوان الشريف العقيلي، وجدت أن هذا الديوان تنطبق عليه هذه الشروط، من حيث إنَّ الشاعر يحمل في نفسه همًّا بيئيًّا كبيرًا، ويظهر ذلك من خلال تطرقه في نصوصه الشعرية لبعض القضايا البيئية، وهذا ينتج عن إحساسه وشعوره بالبيئة، فيحاول من خلال معجمه اللغوي والخيالي أن ينشر الوعي البيئي، ويعمد على تربية الذوق الجمالي لدى المتلقين، وخاصة أن أغلب الديوان عبارة عن نصوص شعرية بيئية، تتشكل من خصوصية البيئة الفاطمية وتميزها، وجماليات وصف الطبيعة (الرياض- الزهريات- الثمريات- المائيات- البرق والغيث والسحاب- الليل والصباح- والنجوم والكواكب)، ومباهج الحياة الحضرية، كما أن الشاعر كان على دراية تامة بمعالم الجمال في بيئته، فلذلك قام بتصويرها تصويرًا دقيقًا معتمدا على المزج بين جمال البيئة وحسن اللغة بأرق الكلمات وأجملها، فجاء شعره معبرًا عن طبيعة بيئته، يتأثر بها، ويؤثر فيها، بل إنَّ الشاعر يبحث عن أغوار نفسه وذاته من خلال العكوف على وصفه لبيئته، فلذلك عمد في شعره على إحياء علاقة الألفة بين الإنسان والبيئة، وأنسنة الطبيعة، والخيال البيئي، والبيئة غير البشرية في النص... إلخ.

ويرى الباحث أن اتجاه الشريف العقيلي إلى شعر البيئة ينبع من دوافع متعددة تتداخل فيها الجوانب الوجدانية والجمالية والدينية والفكرية، ومنها: الدافع الوجداني والعاطفي: وقد كان الشريف العقيلي شاعرًا مرهف الحس، وقد وجد في الطبيعة ملاذًا للتعبير عن مشاعره الإنسانية المختلفة، مثل: الحنين، الحزن، الفرح، التأمل، القلق، فالطبيعة كانت صديقة وجدانه، فكل عنصر فيها يعكس حالته النفسية: السحاب عند الاغتراب، والزهور في لحظات الأمل، والريح وقت الحزن، ومنها: الدافع الجمالي والفني: حيث امتلك الشريف العقيلي ذائقة فنية عالية، ووجد في الطبيعة جمالًا بصريًا وسمعيًا يثري صوره الشعرية: وصف الجبال والأنهار والغيم والليل والنجوم يمنح شعره

بعدًا تصويريًا متفردًا، كما استخدم الطبيعة كرمز فني للتعبير عن مفاهيم أعمق كالحب والحرية والانكسار، ومن الدوافع أيضًا: الدافع الديني والتأملي؛ قد كان الشاعر ينظر إلى الطبيعة بوصفها آية من آيات الله، تستحق التأمل والتقدير، وكثيرًا ما نجد في شعره إشارات قرآنية وروحية، حيث يستحضر عظمة الخالق من خلال المخلوقات، فالطبيعة عنده ليست مجرد مشهد، بل دعوة للتفكر، وأخيرًا: الدافع القيمي والبيئي؛ حيث رأى في الطبيعة رمزًا للأصالة والنقاء، في مقابل التحول الحضري والتدهور البيئي، واستخدم شعره للدفاع عن البيئة، والتنبيه إلى خطر الانفصال عن الطبيعة وتدميرها، ويحمل شعره أحيانًا ملامح مبكرة لما يمكن تسميته بـ"الوعي البيئي".

المبحث الأول: تمثلات الرؤية الإيكولوجية في شعر الشريف العقيلي.

يجب أن ننطلق من المقولة الشهيرة والصحيحة التي تقول: (الإنسان ابن بيئته)، وهذه العبارة تعني أن هناك تأثرًا وتأثيرًا وتفاعلات تجمع بين الإنسان وبيئته، وكثرت المفاهيم المعبرة عن ذلك "في محاولة للجمع بين شعرية الشعر وبيئته، وتباينت الرؤى، من حيث إعطاء الأهمية لمظاهر البيئة في خلق النص الشعري، أو التقليل من أهميتها، وهذا الانتباه لعلاقة الشعر بالبيئة يعود لطبيعته التي تعدّ وجهًا من وجوه معرفة الحياة"([1])، ويمكننا من خلال ذلك الكشف عن طبيعة العلاقة بين البيئة والمبدع، من خلال" تسلسل رؤية المبدع إلى ملكوت الطبيعة، ويذوب في تفاصيلها، يكون للإبداع شأن آخر، حيث تتجادلُ العلاقة بين هذين العالمين المفعمين بالدهشة المتجددة؛ إذ تنتعش الرؤية بما حازته من مخصبات جديدة؛ فينعكس ذلك على العمل الإبداعي ثراءً وعطاءً، وفي الوقت نفسه تتبوأ الطبيعة موقعًا إضافيًّا بما تحرزه من حضور في سياق وجودي آخر هو العالم الإبداعي بما يردف حضورها الواقعي، أي إن رؤية المبدع والطبيعة يتمكنان بفعل جدلية التلاقح والتخاصب من الارتقاء والتجدد والثراء" ([2]).

ونستنتج من خلال ذلك أن رؤية المبدع لا تقف في النصوص الأدبية على وصف الطبيعة وتعداد مظاهرها؛ بل يشمل تحليل الجوانب الثقافية والإبداعية، التي تنتج من خلال رؤية الأديب للبيئة، ومساهمته في خلق الوعي البيئي، والكشف عن الأنساق البيئية المتخفية والمضمرة خلف ستار الصفات الجمالية([3]).

([1]) – ينظر: محمد علي مقلد، الشعر والصراع الإيديولوجي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص١٠٥، دليلة مكساح ، البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، جامعة محمد خيضر – بسكرة، كلية الآداب واللغات ، قسم الآداب واللغة العربية، دكتوراه، ٢٠١٥م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://core.ac.uk/reader/35402830 ص١٠٣

([2]) – عبدالحميد سيف أحمد الحسامي، رواية الضباب أتى... الضباب رحل قراءة من منظور بيئي، مرجع سابق، ص١٤٥

([3]) – ينظر: جميل حمداوي، وحسن إعراب، النقد البيئي أو الإيكولوجي في الأدب والفن، ص٤٥

ومن يمعن النظر في شعر الشريف العقيلي يلحظ تمظهرات البيئة وأشكال التبيؤ الشعري وعناصر التوجه البيئي التي منها: رفع الوعي البيئي لدى الناس عن طريق شعره، والمسؤولية الأخلاقية تجاه البيئة، ومركزية البيئة والعودة إلى الطبيعة النقية، ونبذ التمركز الإنساني، كما أن عناصر البيئة كان لها أثر واضح في تشكيل شخصية الشاعر وفكره، وأنماط الوعي الماثلة فيه، من خلال معرفة الدلالات المرتبطة بالبيئة كبنية دالة، عبر مجموعة مداخل واقعية واجتماعية وفكرية وفنية، وسوف يقوم الباحث بعرض تمثلات الرؤية الإيكولوجية على النحو الآتي:

أ- القيم البيئية:

أولا: إحياء علاقة الألفة بين الإنسان والبيئة-

فالبيئة لها تأثير واضح في الشعر، كما أنها" الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويستمد منه مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر، فالبيئة ليست مجرد موارد يستخدمها الإنسان كمقومات للحياة، وإنما تشمل أيضًا علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالبيئة نفسها"([1])، وقد توجد علاقة الألفة بين الشاعر وبيئته، بوصفه مكونًا من مكونات النظام البيئي، حيث إن البيئة هي الأم الرؤوم التي يستمد منها قريحته الشعرية، وهي التي تترك له العنان لكي يهيم بخياله في سهولها وأرضها ورياضها، وجبالها وأنهارها، ونجومها، فيصوخ لنا المعاني الجميلة والأفكار الجذابة، كما أن " الرؤية الإبداعية – لدى الشاعر- تعمد إلى تجسيد العلاقة بين الإنسان والبيئة وإحياء وشائج القربى بينهما"([2]).

([1]) – ينظر: محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، ص٤٣٤٨، رشيد الحمد، و محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم (٢٢)، شهر (أكتوبر)، ١٩٧٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-1310-، ص٢٤-٢٥

([2]) – ينظر: عبدالحميد أحمد الحسامي، الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، ص١٤٧

والمتأمل في ديوان الشريف العقيلي يلحظ أن هناك علاقة ألفة بين الإنسان وبيئته، فهي ليست مجرد ذكر الشاعر للجبال والسهول والرياض والشمس والقمر، بل استطاع أن يقدم تصويرًا جديدًا من خلال إبطال مركزية الذات البشرية، وجعلها في منزلة متساوية مع جميع العناصر البيئية المختلفة، وذلك من خلال أنسنة الكائنات الأخرى، والتكامل والتآلف بين عناصر البيئة، ويظهر ذلك في قوله([1]):

اِشرَب عَلى زَهرِ البَنَفسَجِ ([2]) قَهوَةً تُهدي السُّرورَ إِلى الحَزينِ

فَكَأَنَّهُ قَرصٌ بِخَدٍّ مُهَفهَفٍ([4]) أَو أَعيُنٌ زُرقٌ كُحِلنَ بِإِثمِدِ([5])

ومن يمعن النظر يلحظ أن الشاعر يدرك أهمية الطبيعة في هذا الخطاب الشعري، كما أن الكلمات الموجودة في البيتين ذات طبيعة إيكولوجية، حيث أطلق ألفاظه البيئية التي تنم على الألفة من بيئة مصرية/ اجتماعية تعكس وتصور رقة الحياة ورهافة الحس وعذوبة اللغة وجمالها، فنجد الشاعر يريد شرب الخمر وسط الطبيعة الخلابة، ومناظرها الجميلة، فهذا يجعله أكثر سعادة وفرحًا، وهذا يشير إلى عمق العلاقة والألفة بين الإنسان وبيئته، كما يوحي هذا الخطاب بالنظام البيئي لدى الشاعر حيث يتكون من "تفاعل مجموعة من الكائنات الحية مع بيئتها المادية"([6])، وهذا يعني أن الكائنات الحية جمعيها تتفاعل وتؤثر وتتأثر من البيئة المحيطة بها، فالشاعر ينطلق من هذا المفهوم، ويتضح ذلك في قوله: (تُهْدِي السُّرور) الذي يشير

([1]) - الشريف العقيلي، الديوان، ص١٠٨

([2]) – البنفسج: مفرد بنفسجة: ،ما كان لونه لونَ زهرة البَنَفسج، أزرق مائل للحمرة :-ثوب بنفسجيّ اللّون.أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب – القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ٣٩٦/١

([3]) - المكمد: الكَمْدُ والكُمْدَةُ : تغيرُ اللونِ وذَهابُ صفائه وبقاءُ أَثَرِه، ابن منظور، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبدالوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ج١٢، ١٩٩٩م، ص١٥٥، مادة كمد

([4]) - مهفمف: هفهاف : ضامر البطن دقيق الخصر، ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٥، ص١٠٤ - ١٠٥، مادة هفف

([5]) - الأثمد: الثَّمْدُ والثَّمَدُ : الماء القليل الذي لا مادّ له ، وقيل : هو القليل يبقى في الجَلَد ، وقيل : هو الذي يظهر يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف، نفسه، ج٢ ، ص ١٢٥ مادة ثمد

([6]) – مجموعة مؤلفين، النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، تحرير: أبو المعاطي الرمادي، ومعجب العدواني، مؤسسة الانتشار العربي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢م، ص٢٢

إلى التكامل والتألف وقوة العلاقة بين الإنسان وبيئته، حيث إنَّ بيئته تمنحه السرور والراحة، وخاصة إذا كان الشاعر حزينًا ومهمومًا، فنجده يشبه زهر البنفسج مرة بِقرضٍ ظَهَرَ أثره على خدٍّ ناعم رقيق، ومرة أخرى بالعيون الزرقاء الجميلة المكحلة بالإثمد، وهذا يدل على أن الشاعر عمد إلى التفاعل مع مكونات بيئته، المتمثلة في زهر البنفسج، لكي يظهر مدى التألف والتأقلم بين النظم البيئية.

وتتضح علاقة الشريف العقيلي بالبيئة، حيث تفاعل معها، وأدرك عناصرها، فأخذ يحاكيها، مما جعلها تستحضر شخصيته، فيقول([1]):

لا تُصغِيَنَّ إلى العَذولِ وَسَقِّني مَشمولَةً في حُمرَةِ البانِجِ

أَو ما تَرى زُهرَ النُجومِ كَجَوهَرٍ نَثَرَتهُ غانِيَةٌ عَلى فَيروزَجِ([2])

وَالبَدرُ في أُفقِ السَماءِ كَوَردَةٍ بَيضاءَ تَضحَكُ في رِياضِ بَنَفسَجِ

فالشاعر في هذه الأبيات يدرك الوعي البيئي، فلذلك نجده يبدأ النسق البيئي بحزنه من صديقه على عدم الذهاب معه إلى شرب الخمر، على الرغم من جمال الطبيعة التي تمتاز بجمال الجو وحسنه، فالشاعر –هنا– يتغني بالألفة بينه وبين الطبيعة، حيث يشبه أنوار النجوم بالجواهر على الفيروزج، وشبّه البدر بوردة بيضاء؛ وهذا يحمل نسقًا إيكولوجيًّا بمحاسن الطبيعة، ليوحي لنا أن شرب الخمر في هذا الجو الرائع له مذاق خاص، فالشاعر يفر إلى الطبيعة ليخلط مشاعره وأحاسيسه مع صورها وأشكالها، كما أن الطبيعة " تلبس حالة الشاعر النفسية وتتلون بعواطفه وانفعالاته ومواقفه"([3])، ويدلل هذا على التفاعل والتشارك الإيجابي بين الإنسان ومحيطه البيئي، وهذا هو المضمون الذي أراده الشاعر في أبياته.

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان ص٩٠

([2]) - الفَيروزَج: الفَيْرُوزَجُ : حجَرٌ كريمٌ غيرُ شفَّاف معروفٌ بلونه الأَزرق كلون السماء أَو أَميل إِلى الخضرة، أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٧٥٩/٣

([3]) – حسين عبود حميد، تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث، دار الفنون والآداب، العراق، ط١، ٢٠٢١م، ص٢٥٧

كما نجد الشاعر يقوم برصد الكثير من العوامل الإيكولوجية في ديوانه الشعري، وهذا يعدُّ دلالة قوية على شدة العلاقة بين الإنسان والطبيعة والألفة بينهما، ويتضح ذلك في قوله([1]):

لَمّـا أَتـى النيـلُ لَنـا مِـن لُجِّـهِ([2]) بِســـائِقٍ يَـــركُضُ مِـــلءَ فَرجِـــهِ

سِـرتُ بِـــهِ فـــي طُرُقـاتِ خُلجِـــهِ مَـــع فـــائِقِ بِدَلِّـــهِ وَغُنجِـــهِ([3])

يَطرِبُنـــــي إِيقاعُـــــهُ بِصَـــــنجِهِ وَالزَهـرُ ترنـو شُـهلهُ([4]) لدُعجـهِ([5])

كأننـــا فـــي عُـــرُسٍ مـــن سُـــرجهِ والـــروض بـــين رقمِـــه ونســـجهِ

وتتضح رؤية الشاعر الإبداعية في هذه الأبيات من خلال اتكاء الشاعر على عنصر من عناصر الطبيعة وهو (النيل) لكي يجسد لنا علاقة الألفة بين الإنسان والبيئة، حيث يحاور الشاعر النيل ويتفاعل معه عبر تمثلات مختلفة، أولها: أن النيل يمثل رمزًا في تمثيل حالة اهتمام الإنسان بالبيئة حيث يعد رمزًا للخير والبركة واليمن، وثانيها: تصوير روعة الطبيعة وجمالها وأناقتها حول هذا النهر، حيث تتغير حياة الشاعر بنظره إلى جمال الطبيعة المتمثلة في النيل، فيدعوه أناقة منظر نهر النيل وروعته إلى السير في خلجانه، فهذا يجعله يمتع نظره بذلك الحسن والجمال، مما جعله يشعر بالارتياح النفسي، فصورة فيض نهر النيل جعلته يشعر بالألفة بينه وبين عناصر الطبيعة الخلابة، وثالثها: أخذ الشاعر من الطبيعة مشاهد جمالية مبدعة؛ لكي يبين لنا من خلال هذا النسق الإيكولوجي عما يوجد بداخله من حب للبيئة وإعجاب بمظاهرها الخلابة، حين جعل الزهر عيونًا بين شهل ودعج، وجعل الروض بساطًا بين

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٩٠

([2]) - لُجُّ البَحْرِ : مُعْظَمُ الْمَاءِ حَيْثُ لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ، ابن منظور، لسان العرب، ٢٦٠/١٢ مادة لجج

([3]) – الغنج: التكسر في الصوت، ودلال في الحديث والتودد، امرأَة غَنِجَة : حسَنة الدَّلّ، وغُنْجُها وغُناجُها : شَكْلُها ، الأَخيرة عن كراع ، وهو الغُنْجُ والغُنُجُ، نفسه، ١٣٤/١٠-١٣٥ مادة غنج

([4]) - الشُّهْلة في العَينِ : أَن يَشُوبَ سَوادَها زُرْقةٌ ، وعَينٌ شَهْلاء ورجُل أَشْهَلُ العينِ بَيِّنُ الشَّهَل، نفسه، ٢٢٩/٧-٢٣٠ مادة شهل

([5]) - الدَّعَجُ شدَّة سواد سواد العين ، وشدة بياض بياضها ؛ وقيل : شدة سوادها مع سعتها، نفسه، ٣٥١/٤-٣٥٢ مادة دعج

الزهر بين مرقوم ومنسوج، فلذلك كان الشاعر على علاقة قوية بالبيئة يحاورها ويحدثها بكلمات ساحرات كالبسمات الصادقات، ويتخذها ملاذًا، ويجعلها فوق عالم البشر، رغبة منه في إلغاء مركزية الإنسان، والسمو بالكائنات الأخرى. حيث "يتميز النظام البيئي بالتعدد والتفاعل الذي يحصل بين مكوناته؛ ونتيجة لذلك تتحد هذه المكونات الحية المتمثلة بالنباتات والحيوانات، وغير الحية كالبحار والمحيطات والأراضي بفعل العوامل البيئية التي تشهد تداخلا وتفاعلا مع بعضها، فأي تغيير تشهده هذه العوامل سيؤدي إلى تغيير في طبيعة النظام؛ لأنه أشبه بالسلسلة المتكاملة وأي خلل يحصل في أي جزء منها سيؤدي بدوره إلى تحطيم الأجزاء الأخرى"([1]).

ثانيًا: أنسنة الطبيعة.

تعد الطبيعة رافدًا رئيسًا في النقد الإيكولوجي، كما وُجد "مفهوم (أنسنة الطبيعة) كنتيجة طبيعية لعملية العودة إلى الأزمنة السحيقة، وما وُجد فيها من محنة لبني البشر في مواجهة جموح الطبيعة الهادر وظواهرها الغامضة التي تدمره تارة كالبراكين والأعاصير والفيضانات والزلازل وغيرها من الظواهر، وتؤثر عليه سلبًا تارة أخرى، حين تدخل في صميم حاجاته الأساسية فتتوقف حياته عليها مثل: الزراعة إذا حلَّ القحط والصيد، وإذا ما تغير المناخ والأمراض التي تفتك به ولا يعلم لماذا؟ وغيرها الكثير"([2])، كما تعرف الأنسنة بمصطلح الإحيائية، ويقصد بها" أن الإنسان البدائي يؤنسن الطبيعة ويشخصها تشخيصًا حيًّا، فيجعلها تتحرك مثل الإنسان خيرًا وشرًا، بمعنى أنه يسبغ عليها صفات الإنسان الحي، ويجعلها تتصرف مثل تصرفات الإنسان الإيجابية والسلبية"([3]). وهذا يعني أن الشاعر يجرد الطبيعة من الصفات المادية ويضفي عليها الصفات الإنسانية، حتى تكون هناك ملاءمة بين العناصر الموجودة

([1]) – ينظر: بنين سمير عيسى، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، ص٥٩، أحمد الخطيب، النظام البيئي والتلوث، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٦

([2]) - محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، ص٤٣٦٠

([3]) – جميل حمداوي ، حسن أعراب، النقد البيئي في الأدب والفن، ص١٣

على الكرة الأرضية، كما يتم من خلالها أيضًا تعميق جذور البيئة في تربة المعاني المجردة، أو بمعنى أدق " تحويل الطبيعة إلى إنسان من خلال إسقاط هذه الصفات الإنسانية، فيجعلها تتحرك، وتحس، وتُعبر وتتعاطف"([1]).

ومن يمعن النظر في شعر الشريف العقيلي يجده قد حفل بصور تشبيهية متنوعة، تشغف بها القلوب، وتهيب بها النفوس، تحمل مدى تأثر الشاعر بجمال بيئته من إضفاء الصفات البشرية عليها، ليشارك في خلق الوعي البيئي للمتلقي، من خلال الأنساق البيئية المضمرة، ويتضح ذلك من خلال قوله([2]):

والجـوُّ هَـامَ كَصَـبٍ([3]) صَـدَ آلِفُـهُ فَدَمعـــهُ وَاكِـــف تحْتثـــهُ االكـــربُ

وكُلُّ نـاعُورةٍ فـي الـروضِ قَدْ نَعَرَتْ كَغَـادَةٍ هَزْهَـا- مِـنْ سُـكْرِهَا- طَـرَبُ

والـوَرْدُ يضـحَكُ، والمَنثـورُ مُنْتشِـرٌ كأنــهُ جَـوْهَرٌ فــي الأرضِ يُنْتهَـبُ

واليَاسَـــمِينُ كَمِثْـــل الـــدّرِ تنثُـــره علـى جَـوَاهِرَ أزهَـارِ الرُّبـى القُضُـبُ

كأنمَـا النـرجسُ البَـرزي- حـين بَـدَا علـى الغصـونِ- لُجَـيْنٌ([4]) حَشْـوَه

نلحظ من خلال هذه الأبيات البيئية نظرة إيكولوجية تجعل القارئ يعمد إلى كشف ما وراء النص والتعمق في باطنه؛ حيث تختزل هذه الصورة مشهدًا بيئيًّا، تظهر فيه عناصر الطبيعة من خلال أنسنة الشاعر للرياض والأزهار، وهذا يكشف مدى التحول في الرؤية الإبداعية من حالة الجمود إلى حالة الحركة، ويتضح ذلك عندما يصور لنا الشاعر حالة تغير الجو واضطرابه وذلك بتحرك غيومه يمينًا ويسًار مع نزول المطر، فالجو هنا هو المعادل الموضوعي لإحساس الشاعر/ العاشق بالاضطراب وهو يبحث عن أليفه، مما جعله يلجأ إلى البيئة المحيطة التي تؤثر فيه ويتأثر بها، فلذلك اختار الجو الذي يتقلب كما تتقلب حالته الشعورية على عدم ثبات الهجر والفراق، وهذا يعني

([1])- مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبدالرحمن منيف، دار الوفاء، القاطرة، ٢٠٠٣م، ص٧

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٦٢

([3]) – الصب: العاشق، ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٢٦٨-٢٦٩ مادة صبب

([4]) – لجين: الفضة، نفسه، ١٢/٢٤٥-٢٤٦

أن الشاعر لم يقصد وصف الجو أو الغيم بقدر ما كان يصور تغير أحواله وتبدالها من حال إلى حال، كما نجد في البيت الثاني وجودًا لأنسنة الطبيعة في الجوانب الحسية، حينما شبّه حركة الناعورة وصوت الماء الخارج منها بصوت بفتاة جميلة قد نعرت، أي أصدرت صوتًا وهي في حالة سكر، حيث جعل الناعورة مثل الكائن الحي/ الإنسان الذي ينعر ويصدر صوتًا، حيث يجعل الذات البشرية في منزلة مساوية مع عناصر الطبيعة/ وهنا تتحقق الإيكولوجيا/البيئة العميقة كما صاغها (آرني نيس) حيث تعبر عن "إبطال مركزية البشر، وإنزالها منزلة متساوية مع بقية عناصر الطبيعة؛ إذ يؤمن الفلاسفة البيئيون بأن مركزية البشر قد سببت "استغلالا وهيمنة جائزين للعناصر الأخرى"([1])، ثم يتحرك الشاعر بنصه الشعري، وتتحرك معه الصورة الحسية حينما أضفى على الروض صفات إنسانية، حيث جعل الورد يضحك فرحًا وسرورًا، والمنثور منتشر كأنه جواهر نفيسة، ثم شبّه في البيت الرابع شكل الياسمين بالدر المنتثور على الجواهر، حيث منح الأغصان صفات بشرية؛ حيث جعلها هي مَن تقوم بنشره على الأزهار، لكي تظهر البيئة على مستوى البنية الرؤيوية فتمنح القارئ أفقًا واسعًا لمشاهدة عناصر الطبيعة الخلابة من خلال أنسنتها.

وللبيئة بكامل مكوناتها وعناصرها حضورُ طاغٍ في ديوان الشاعر، حيث تلبس عواطف الشاعر وانفعالاته حالة شعورية، حيث يوظف عناصر البيئة ليس على أساس وصفها وعرضها، وإنما يقدمها لما فيها من وعي بيئي، فنجده يتجه حول أنسنة السحب، والمطر، قائلا([2]):

السُحبُ تُرضِعُ مِن بَناتِ الأَرضِ ما جَعَلَ الرَبيعُ لَها الغُصونَ مَهودا

([1]) – مايكل برانش، النقد الإيكولوجي، الطبيعة في النظرية والممارسة الأدبيتين، مرجع سابق، ص٤٢

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٢٠

وَالـراحُ([1]) قَـد نَظَـمَ المِـزاجُ لِجيـدِها دُرَّ الحَبـــابِ قَلائِـــداً وَعُقـــودا

فَاِستَجِلِ مِنهـا مـا إذا اِفتُرِعَت غَـدا مِنهـــا الســُـرورُ لِبَعلِهـــا مَولـــودا

وَاِنعَـم بِهـا فـي ظِـلِّ صِـحَّتِكَ الَّتـي أَضـــحى عَلَيـــكَ رِواقِهـــا مَمـــدودا

ومن يمعن النظر في هذه الأبيات يلحظ أن للشاعر حضورًا بيئيًّا كبيرًا، حيث استطاع أن يؤنسن المكونات البيئية بصورة متداخلة بين السحب والراح، كما يوضح الدكتور (محمد أبو الفضل بدران) قائلا :" فإن هذه الأنسنة البارعة للطير والنبات والجماد والماء توحي بوعي الشاعر الإيكولوجي في حاجة إلى منهجية قابلة للتطبيق في تراث الإنسانية، ولا أغالي إذا قلت إن النقد الأدبي البيئي ربما يكشف مخبوء النص الأدبي بما يعين المتلقي على فهمه، وبما يسهم (يشارك) في انتشار وعي بيئي يرى البيئة مشكلة تيارات الإبداع والتلقي، فالطبيعة ليست شيئًا يكتشفه العقل بل ما يعمله العقل"([2])، ومن خلال السياق النصي للأبيات تتضح فاعلية أنسنة الطبيعة عن طريق الاستعارة في قوله: (السحب ترضع من بنات الأرض) فهذا التركيب الاستعاري قائمٌ على تجسيد المجرد بالحسي، وذلك بمنحه صفة من صفات الأحياء، حيث أضفى الشاعر على الطبيعة (السحب والأرض) صفات إنسانية، فشبّه السحب بإنسان يرضع، كما شبّه الأرض بإمراة يُرضع منها، وفي قوله: (والراح قد نظم المزاج) حيث جعل الراح مثل المرأة تتزين بالقلائد والعقود، ويتضح للباحث أن الشاعر جاء بصورة شعرية تناغمت فيها البيئة مع الإنسان وهدف من خلالها إلى إبطال مركزية الإنسان الذي "يعد نفسه الأساس لا مجرد جزء من هذا الغلاف البيئي"([3]).

يهتم الشريف العقيلي بالتمثيلات الإيكولوجية للطبيعة، حيث ينظر للإنسان بوصفه جزءًا من أجزاء الكون، فلذلك حاول إدراك العلاقات التبادلية بين الذات البشرية وغير

([1]) – الراح: الخمر وجمعها أرواح، وسميت بذلك لأنها تريح النفس وتبعث السرور، ابن منظور، لسان العرب، ٧٧/٥-٧٨

([2]) – محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، ص٤٣٦٧

([3]) – بنين سمير عيسى، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، ص٥٩

البشرية، حينما قام بالمزج بين الطبيعة السماوية والأرضية مع الإنسان، على نحو قوله([1]):

يـــا رُبَّ ذاتِ قَلائِـــدٍ نازَعتُهـــا راحـاً لَهـا حَبَـبٌ كَسَـلخِ الأَرقَـمِ([2])

وَالبَـدرُ فـي أُفـقِ السَـماءِ كَـدِرهَمٍ أَو غُـرَّةٍ مـا بَـينَ عَينَـي أَدهَـمِ([3])

حَتّـى بَـدا وَجـهُ الصَـباحِ كَأَنَّـهُ صَفحُ الصَديقِ عَنِ الصَديقِ المَجرِمِ

يحرص الشاعر على التناغم والامتزاج بين العناصر البيئية، وهذا يشي بمدى قوة الارتباط بالبيئة، فيتحدث عن ليلة من ليالي شربه للخمر، مع نديم لم يجلس معه من قبل، حيث شبّه حب الخمر بالنقط الحمراء الموجودة على جلد الحيَّة، ثم يشبه البدر مرة بالدِّرهم، ومرة أخرى بالبياض الذي يكون موجودًا بين أعين الفرس الأسود، كما تختزل هذه الأبيات مشهدًا بيئيًا/ إيكولوجيًّا بدت فيه عناصر أنسنة الطبيعة، ويتضح ذلك في قوله: (وَجهُ الصَباحِ) حيث جعل للصباح وجهًا يشرق ويزداد بريقًا، فقد قصد الشاعر وشبه نور الصباح بالصفح والعفو الذي انتظره طويلا، بعد قضاء ليلة عابسة وتعيسة مع ذلك النديم المجرم، وهذا يمثل إسقاطًا لحالة الشاعر النفسية.

ومن خلال ذلك يمكننا القول: إن أنسنة الطبيعة – عند الشاعر– ذات كينونة متحولة، فلذلك جاءت معبرة عن البيئة المصرية بكل أبعادها النفسية والفكرية، حيث عمد من خلال ذلك إلى إبطال مركزية الإنسان وذلك بتوضيح مدى العلاقة القوية بين الإنسان وبيئته، فخلع على المكونات البيئة صفات إنسانية تدل على الترابط والتماهي بينهما، كما كانت البيئة تشكل في الكثير من ديوانه الشعري معادلًا موضوعيًّا لحالته النفسية، مما جعل البيئة عنصرًا فعالًا للشاعر في أفكاره ومشاعره، حيث ظهر ذلك في

([1])- الشريف العقيلي، الديوان، ص٢٥٧

([2])- الأرقم: الرَّقِم ، بكسر القاف ، الداهية ، وكذلك بنت الرَّقِم ؛ قال الراجز : أَرْسَلَها عَليقَة، والأرقم:حية بين الجنبين، مرقم بالحمرة والسواد، ابن منظور، لسان العرب ٢٩١/٢٩٠/٥ مادة رقم

([3]) – الأدهم: الدهمة السواد، والأدهم الأسود، يكون في الخيل والإبل وغيرهما، نفسه، ٤٣١-٤٣٠/٤ مادة دهم

لوحات فنية رائعة، ليشارك في خلق الوعي البيئي للمتلقي، من خلال الأنساق البيئية المضمرة.

ثالثا: الاستدامة البيئية.

تنشأ الاستدامة البيئية "على مبدأ الحفاظ على الأنظمة الحيوية من أي ضرر يمسها، وجعلها في حالة أكثر تجددًا واستمرارًا في الحياة؛ في مجابهة ما سببته اتجاهات التنمية الحالية من تلوث، فتقوم بفرض حدود على الرغبات المادية للإنسان، من خلال محاولتها التقليل من حجم الإنتاج الصناعي المسبب الضرر للأنظمة البيئية([1])، كما أن الاستدامة هي:" القدرة على حفظ نوعية الحياة، التي نعيشها على المدى الطويل، وهذا يعتمد بدوره على حفظ العالم الطبيعي، والاستخدام الصحيح للموارد"([2])، ويقول (هاني علي سعيد): إن هذه الاستدامة" تضع النصوص الأدبية أمام شرط مهم يجب تحققه في تناولها البيئي، يتمثل في ترك شعور إيجابي داخل متلقي هذه النصوص تجاه كل ما هو بيئي، وهو بُعْدٌ مهمٌ يسهم في تربية الشعور البيئي بداخله، ويُعزز انتماءه للمنظومة البيئية"([3]). ولعل البعض يتساءل هل كان للشاعر الشريف العقيلي على علم بالاستدامة البيئية؟ وهنا يجب أن نقول: إن الشاعر العربي القديم عامة، والشريف العقيلي خاصة كانت لديهم فطرة سليمة حول البيئة، حيث التحموا بالبيئة التحامًا قويًّا ينفذ من خلال الوعي والإدراك الإسطوري لأهمية البيئة في عصرهم، فالشريف العقيلي كان يتماهى مع العالم المتمثل في البيئة الذي كان دائما في ذاكراته ومخيلته، وذلك يمثل ملمحًا رؤيويًّا يعمد فيه إلى الإعلاء من قيمة الانتماء للعلاقات الطبيعية، وكان هذا بالفعل موجودًا في البيئة المصرية التي تتميز بجوها

([1]) – ينظر: أندرو هيود مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، تر: محمد صفار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٣٢٥، بنين سمير عيسى، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، ص٥٩

([2]) - مجموعة مؤلفين، النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، دار شهريار، العراق، ط١، ٢٠٢١م، ص٣٢٣

([3]) – هاني علي سعيد محمد ، النقد البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور، ص٤٦٣-٤٦٤

المعتدل ومناظرها الخلابة، فالشريف العقيلي عاشق للطبيعة في موطنه الفسطاط، يرى الجمال في كل ما حوله ومن حوله، ويحس به ويمتزج بذلك كله امتزاجًا لا يميز فيه بين جمال يكمن في مظهر إنساني، وبين جمال يبدو في منظر طبيعي، ولكن ما أفسد البيئة هو الإنسان المعاصر، فالله "خلق البيئة الطبيعية على صورة متوازنة، ولو سارت الحياة وفق هذا السنن الطبيعي لما انتابها المعضلات أو المشاكل القاتلة، ولكن جموح الإنسان قد دفعه إلى إرباك هذا النظام(...) وبالتالي يتضح لنا أن هذه المشكلات إنما ظهرت نتيجة مباشرة للتدخل غير الواعي للإنسان في استخدام هذه المكونات"([1]).

ونجد الشريف العقيلي لديه إدراك ووعي أسطوري بأهمية المحافظة على النظام البيئي، وخاصة في إطار الطبيعة المصرية، وما تتمتع به من جمال يتمثل في نيلها وبساتينها، وبركها وأفانينها، على نحو قوله ([2]):

الغَـــيمُ مَمـــــدودُ السُـــــرادِق وَالزَهـــرُ مَفـــروشُ النَمـــارِق([3])
وَالقـــاشُ قَـــد نُقِشَـــت لَنـــا مِنـــهُ المَجـــالِسُ وَالمَرافِـــق
أَشـــــــجارُهُ وَثِمـــــــارُهُ مِثـــلُ التَرائِـــب وَالمَخـــانِق
وَطَـــنٌ يَموطـــتُ مَخافَـــةً فيـــهِ الشَـــقاءُ مِـــنَ الشَـــقائِق
قَـــد غَنَّـــتِ الأَطيـــارُ فـــي طُرُقاتِـــهِ كُـــلَّ الطَرائِـــق
فَـــالأُقحُوانُ([4]) غُصـــونُهُ بـــيضُ النَواصـــي وَالمَفـــارِق
وَمَـــراوِدُ الأَمطـــارِ قَـــد كَحِلَـــت بِهـــا حَـــدَقُ الحَـــدائِق

([1]) – عبدالحكم عبداللطيف ، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ١٩٩٦م، ص٤٩

([2]) – الشريف العقيلي ، الديوان، ج٢، ص٢١٤

([3]) – النمارق: النُّمْرُقُ والنُّمْرُقة والنِّمْرِقة ، بالكسر : الوسادة ، وقيل : وسادة صغيرة ، وربما سموا الطِّنْفِسَةَ التي فوق الرَّحْل نُمْرُقة، ابن منظور، لسان العرب، ٢٨٩/١٤-٢٩٠

([4]) – الأقحوان: القَحْوُ : تأْسيس الأُقْحُوان ، وهي في التقدير أُفْعُلان من نبات الرَّبيع مُفَرَّضُ الورق دقيق العِيدان له نَور أَبيض كأَنه ثغر جارية حدَثةِ السن، نفسه، ٤١/١١ مادة قحا

وقد تعمق الشاعر –عبر هذه الأبيات– في رصد المظاهر الإيكولوجية المتمثلة في مبدأ الحفاظ على الأنظمة الحيوية، حيث تحقق ذلك لدى الشاعر من خلال نسج صورة شعرية متأثرة بالعناصر الحضارية وما صاحبها من تطور في طرائق الحياة وأساليب العيش، حيث جاءت "هذه الأبيات التصويرية للطبيعة كأنها صورة أخرى لمجلس في إيوان بهيج على جدرانه ألواح من القاش في أشكال بلورية رصت في الكوى والمستشرفات، وقد تعودنا أن نرى في الرسوم القاشانية لبنات مسطحة تثور أشجارًا وطيورًا أو نوافير ماء بألوان زاهية تغلب عليها الخضرة"([1])، فالشاعر هنا يحاول أن يعمق من خلال هذا الوصف لدى المتلقي أهمية الحفاظ على الأنظمة الحيوية والنظام البيئي الذي خلقه الله تعالى، من خلال المزج بين البيئة المتيم بها وبين جمال الصورة التي يطرحها، فلا تستطيع أن تمنع نفسك عن تخيل جمال منظر الغيم وهو ممتد بدون أي تأثير خارجي عليه مثل التلوث أو الأتربة ...إلخ من مصادر تلوث البيئة، أو منظر الزهر مفروش النمارق، أو روعة منظر الأشجار المطروح عليها الثمار بشكل منظم ودقيق، أو منظر الأقحوان ذا الناصية اللامعة البياض، وكل هذه المناظر الطبيعية الخلابة تترك إحساسًا وشعورًا إيجابيًّا من المتلقي تجاه البيئة، حيث تجعله دائما يحفاظ على هذا تنمية الشعور البيئي وبثّه بينه وبين الآخرين، كما يسعى إلى تحقيق إستدامة بيئية من خلال الحفاظ على أنظمة البيئة، والاستخدام الصحيح للموارد.

ومن مظاهر الاستدامة البيئية تفاعل (الشريف العقيلي) مع كل شيء بيئي، على نحو قول المقريزي في الخطط بعض الأبيات التي تنسب للشريف العقيلي([2]):

أَحِـنُ إلـى الفُسْـطَاطِ شَـوقًا وإننِـي لأَدْعُـو لَهـا أنْ لا يَحِـلَّ بِهَـا القَطْـرُ

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، المقدمة: بقلم زكي المحاسني، ص ١٩

([2]) – المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٦٧/٢

وهَلْ فِي الحَيَا مِنْ حَاجَةٍ لِجنَانِهَا وَفي كُل صَوْبٍ مِن جَوانبِها نَهرُ!

تَبَـدَّتْ عَرُوسًـا والمُقطـمُ تَاجُهَـا وَمـن نيلهَـا عِقدُ كَمَـا انْـتَظَمَ الـدُّرُّ

نلحظ في هذه الأبيات حضورًا بيئيًّا من خلال الحس البيئي الحيوي في تصوير مشاهد الطبيعة المصرية المتمثلة في الفسطاط، حيث يجعلنا الشاعر أمام مشهد بيئي في غاية الجمال، يهدف من خلاله أن يظهر ذاته جزءًا من تلك البيئة المصرية، ووجوده مرتبط بوجودها، فلذلك هو حريص على الوجود بها، وهذا يحقق غاية النص البيئي، ويظهر ذلك في الكلمات الآتية: (أحن– شوقًا– لأدعو لها)، حيث يرى الشاعر أن مدينة الفسطاط هي النموذج والمثال الأروع للجمال، فهي لا تحتاج إلى مطر، حيث يُوجد بها أنهار تروي كل قطر أو جانب من جوانبها، وبها جنان تمتد جنباتها، كما شبّه جمال تلك المدينة وحسنها، ووجود جبل المقطم بها بالتاج التي تتزين به العروس بوضعها التاج على رأسها يوم العرس، كما تتميز تلك المدينة أيضًا بوجود نهر النيل الذي يوجد به الماء العذب مثل العقد حول جيد العروس، وفي هذه الأبيات نجد شعورًا نفسيًّا من خلال حنينه لمدينة الفسطاط التي تحمل له ذكريات إيكولوجية/بيئية، فيقول (بول روبنس paul Robbins): "تقدم الإيكولوجيا العميقة أخلاقًا تؤكد على قيمة الطبيعة في ذاتها، وبذاتها، ولذاتها"([1])، وهذا يؤكد أن الشريف العقيلي يعلي من قيمة الانتماء للطبيعة.

ومن هنا يمكننا القول: إنَّ الشريف العقيلي كان لديه إدراك إسطوري استطاع من خلال وصفه للطبيعة يدعو إلى الحفاظ على الأنظمة الحيوية، والطبيعة بكل عناصرها من ماء (نهر النيل) والزهريات والروضيات... إلخ وذلك المسمى حديثًا بالاستدامة البيئية.

([1]) – بول روبنس، وآخرون: البيئة والمجتمع مقدمة نقدية، تر: خالد مفتاح، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م، ص١٣٤

ب- أخلاقيات البيئة أو الإطيقا الإيكولوجية:

تنشأ الأخلاق البيئية "ضمن الفلسفة الأخلاقية المعاصرة بدأ يتشكل منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين في إطار دراسة أسباب وعواقب الأزمة البيئية، ويؤكد أتباعه أنه لن يحصل تقدم في إنهاء الأزمة البيئية إلا إذا حدث تحد للمعايير الأخلاقية للمركزية البشرية ووسعنا قاعدة الاعتبارية الخلقية لتشمل الكائنات غير البشرية"([1])، "ومن حق الطبيعة أن تحيا، فجميع الموجودات التي تعيش عليها لها قيمها الداخلية، ولا أحد يسود الآخر أو يسيطر عليه، وكثيرًا ما يركز النقد البيئي في إحدى جوانبه على عمل الأنظمة الأخلاقية تجاه الطبيعة أكثر من عمل الأنظمة البيئية"([2]). ومن خلال ذلك يتضح أن الأخلاق البيئية لها دورها الذي تؤديه من خلال طرح المشكلات التي تؤثر على نشاط البيئة، وهذه المشكلات تؤدي إلى اختلال التوازن البيئي، وقد اهتم الشريف العقيلي بأخلاقيات الحفاظ على البيئة من خلال نشر الوعي البيئي عن طريق احترام جميع الكائنات التي تحيط بالإنسان.

ومما لا شك فيه أن الوعي الشعري يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبيئة، حيث يتشكل تفاعل الشعر مع البيئة بفضل الوعي الذي يملكه الشاعر، وذلك وفقًا لمتطلبات البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية والطبيعية، وخاصة أن البيئة هي في المجموع طبيعة ومجتمع وسياسة وثقافة وتاريخ وموروث، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل هذا التفاعل يفرض على الشاعر التواصل مع كل أشكال الوعي الموجودة في بيئته؟ وإذا كان الوعي نوعًا من أنواع الفكر، فأين تكمن فاعليته في مستوى التغير اللغوي أو الرؤيوي؟ وما أثر البيئة عليه، وما تأثيره فيها بوصفه وسيلة للتبيؤ؟ ولكي نجيب على هذه التساؤلات يجب أن نذكر" أن الإنسان يعيش حسب علماء البيئة في عالمين اثنين

([1]) - أسماء إبراهيم حسين ، النقد الإيكولوجي وتجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية) لإبراهيم نصر الله، و(إسكندرية ٢٠٥٠م) لصبحي الفحماوي، ص٩٩٣

([2]) - مجموعة مؤلفين، النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، ص١٤

هما: العالم الإيكولوجي الذي تتوافر له فيه المتطلبات الأيضية الأساسية، شأنه في ذلك شأن أي كائن حيوي، والعالم السيكولوجي الذي تمكنه فيه قدراته المعرفية من بناء ثقافات معقدة"([1]).

والمتأمل في شعر الشريف العقيلي يلحظ الأساليب التي انتهجها في تفعيل دوره تجاه توعية المتلقي بأهمية البيئة، ويتحقق ذلك من خلال تأمل واقع البيئة بمختلف مستوياته، ثم إمكانية تجاوز تأثيراته، والتطلع إلى ما وراء ذلك الواقع من خلال البحث عن بدائل له، سواء كان ذلك من خلال الدعوة إلى المساواة بين كل الكائنات الحية، أو الأخلاقية المتمركزة حيويًّا نحو الطبيعة، ويتضح ذلك في قوله([2]):

وشُـهْبٍ([3]) كَمِثْـلِ الشَّـيْبِ، بِـيضٌ تَحُـفُّ بِهَـا دُهْـمٌ كَسُـوْدِ المَفَـارِقِ
نِتَـاجٌ كَـرِيْمُ الأصـلِ أسـرعُ خُطْـوةٌ عَلَى الطِرْسِ([4]) مِن دَمـعٍ عَلَـى خَدِّ
تَأدبــهُ يُغْنيــهِ عَــن كُــلِ رَائــضٍ وَفِطْنَتَــهُ تُغْنيــهِ عَــن كُــلِ سَــائقِ
مِـن الـلَّاءِ لا تكْبُـوِ لسُـرْعَةِ جَرْيِهَـا إذَا هِـي خَبَّـتْ فِـي فِجَـاجِ المَهَـارقِ
وَفيهـا إذا مَـا اسْـتقْبَلتهَا خُـدُودُهَا أَشَـدُّ احْمِـرَارًا مِـن خُـدُودِ العَوَاتـقِ
إذا انفْتَحَــتْ عَنْهَــا الــدواة رَأيتَهَــا كَكَـانُونِ نـارٍ، أوْ كَـرَوْضِ شَـقَائقِ

تختزل هذه الصورة مشهدًا بيئيًّا حينما سيطر التفكير الإيكولوجي على الشاعر حين عمد إلى تصوير الخيل، وهذا يكشف لنا عن محطات مهمة من تبيؤ الشعر وتفاعله مع الكائنات الحية، فالخيل ظاهرة بيئية لها تداعيات، ويظهر ذلك من خلال علاقة الإنسان به حيث منحته–تلك العلاقة– الرمزية، وفي هذه الأبيات نلحظ أنه بؤرة

([1]) – إيان ج سيمونز: البيئة والإنسان عبر العصور، تر: السيد محمد عثمان، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٢٢، يونيو، ١٩٩٧م، ص٦٩

([2])- الشريف العقيلي، الديوان، ص٢٢٣

([3])- الشهب: الشَّهَبُ والشُّهْبةُ : لَونُ بَياضٍ ، يَصْدَعُه سَوادٌ في خِلالِه ؛ وأَنشد : وعَلا المَفارِقَ رَبْعُ شَيْبٍ أَشْهَبِ والعَنْبَرُ الجَيِّدُ لَوْنُه أَشْهَبُ ؛ وقيل : الشُّهْبة البَياضُ الذي غَلَبَ على السَّوادِ ، ابن منظور، لسان العرب، ٢٢٠/٧-٢٢١

([4]) – الطرس: الصحيفة، نفسه، ١٤٣/٨ مادة طرس

الموضوع الذي تتأسس عليه الصورة الشعرية، ووجوده لا يعني أنه انعكاس للبيئة، بل هو صورة من صور تبيؤ الشعر، الذي يهدف الشاعر من خلاله إلى نشر ثقافة الوعي البيئي، واتضح ذلك حينما حول الخيل إلى رمز، وطُعِّم بطعم وجداني يحيل إلى مدلولات متعددة، حيث صور اجتماع الخيول مع بعضها مثل الشيب الذي ينتشر في الرأس، فلذلك اتجه إلى تنكير الكلمات (شهب– بيض دهم– نتاج– تحف) للدلالة على قوة هذه الخيل وعظمتها وسرعتها، في محاوطتها لجيش العدو من كل الجوانب، فجاءت تلك الصورة متسقة مع صورة انتشار الشيب في الرأس، ثم يتجه الشاعر إلى تشبيه عدو الخيل وسرعته مثل سرعة دموع المحب الذي أتعبه الفراق وعذبه، بل أشد سرعة من تلك الدموع، وهذه دلالة على أصالة خيله وسرعتها، فهي لا تتوقف ودائما ما يكون النصر حليفها، ثم يشبه الشاعر حُمرة خدود هذه الخيل بموقد نار أو بروض شقائق، فنجد في هذه الأبيات استطاع الشاعر أن يستثمر عناصر الطبيعة الجميلة مع صفات الخيل، لكي يعلم القارئ تبيؤ الشعر وتفاعله مع الكائنات الحية، كما أراد أن يظهر المساواة بين كل الكائنات الحية سواء الحيوان أو الإنسان، وذلك من خلال وعيه البيئي، وخاصة أن أزمة البيئة "هي في عمقها أزمة أخلاقية"([1])، وفي ذلك يقول (كاليكوت):" أمَّا في الممارسة فغالبًا ما يتداخل تيار الأخلاق البيئية وتخرير حقوق الحيوان"([2]).

فمن مهام أخلاقيات البيئة تعليم الإنسان كيفية التعامل مع الطبيعة، وإدارة العلاقة بينه وبينها على أساس أخلاقي؛ لأن تلك العلاقة هي التي ستنعكس فيما بعد على الإنسان، وتؤثر في علاقاته بينه وبين بقية البشر، وهذا السعي من طرف الفلسفة

([1]) – جون.ب. ديكنسون: العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، تر: شعبة الترجمة باليونسكو، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أبريل، ١٩٨٧م، ص٢٠٤

([2]) – ج بايرد كاليكوت، الأخلاق البيئية: ضمن كتاب مايكل زيمرمان الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ترجمة: معين شفيق رومية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ج١، ص٢٩

البيئية إلى إعادة تأسيس العلاقات بين الإنسان والبيئة... هو الذي سيقود البشرية إلى حماية البيئة والحفاظ عليها([1])، ومنها نشر الوعي البيئي، على نحو قوله ([2]):

وَقَهـــوَةٍ تَلمَـــعُ كَالسَـــرابِ أَحلـى مِـنَ الوَصـلِ بِـلا عِقـابِ

تُعجِـــزُ أَوهـــامَ ذَوي الحِســـابِ عَن بَعضِ ما أَفنَت مِنَ الأَحقابِ

صَـــفراءُ مِثـــلَ الـــذَهَبِ المُـــذابِ لَهـــا أَكاليـــلٌ مِـــنَ الحَبـــابِ

تَحكُـــمُ لِلصَـــبِّ عَلـــى الأَوصـــابِ غادَيتُهـــا بِغـــادَةٍ كَعـــابِ

رَقراقَـــةٌ ناعِمَـــةُ الشَـــبابِ تَبسِـــمُ عَـــن فَضِـــيَّةٍ عِـــذابِ

عِطرِيَّـــةَ الأَنفـــاسِ وَالرُضـــابِ إِذا بَـــدَت ســـافِرَةَ النِقـــابِ

تَقَطَّعَـــت حَبائِـــلُ الأَلبـــابِ فـــي رَوضَـــةٍ كَأُلفَـــةِ الأَحبـــابِ

أَو كَمُؤاخـــــــــاةِ ذَوي الآدابِ قِبابِهـــا أَحسَـــنُ مِـــن قِبـــابي

وهذا الوصف لمظاهر الطبيعة يمثل شكلًا من أشكال تمظهر البيئة في هذا الخطاب الشعري، حيث تتنوع المظاهر البيئية بين الروضة والخمر والمرأة في تشكيل بيئتهم، فالجامع بين هذه المظاهر هو البعد الإيكولوجي، وذلك عن طريق استبدال المركزية البشرية بمركزية إيكولوجية، حيث يصور الشريف العقيلي صورة للروضة، وذلك حينما يصور مجلس الشراب الذي تلمع فيه الخمر كالسراب، وتفوق الوصل في جمالها وروعتها، فهي صفراء كالذهب، ناعمة الشباب، عطرية الأنفاس، عذبة الريق، وهذا ما يجعل الطبيعة في نظر الفكر الإيكولوجي مصدرًا خصبًا لتفعيل إدراك الإنسان، وتنمية وعيه بأهميتها، ودورها في تلك الحياة، وهذا ما يقود الذات الشاعرة إلى تغيير مفاهيمها تجاه عالمها، فنجده يشبه الروضة بألفة الأحباب، وهنا تظهر فلسفة التربية البيئية لدى الشاعر، الذي يعتمد على مذهب التلازم، حيث يكون

([1]) – ينظر: رجاء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق،د، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٥٠

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٤٨

مضمون:" إن مفهوم قيمة الطبيعة مفهوم إنساني، وأي إسناد للطبيعة يتوقف على الوعي البشري والإنشاءات التي يصنعها، ولكن مع ذلك بإمكان البشر التكيف مع حقيقة أن بعض القيم الماثلة في الطبيعة، ليست مشتقة من البشر بل من الطبيعة في حد ذاتها، فلذلك فالوعي الشعري مطالب بالتوجه نحو الطبيعة لاستلهام القيم منها، وتوجيهها نحو الواقع البشري"([1]).

إن الفلسفة الإيكولوجية تحيل إلى الاهتمام بالبيئة الطبيعية، فهي في عمقها تشير إلى الوجود البشري، وتسعى للاهتمام به، والسير به نحو مسار سليم يكفل له حياة متوازية وقائمة غلى مجموعة قيم أخلاقية إيجابية، فلذلك تنطلق الذات الشاعرة إلى تغير العلاقات الناشئة بين البشر والكائنات الحية الأخرى، انطلاقا من علاقته بالطبيعة، فيقول([2]):

أَمـــا تَـــرى الأَبـــرَميسَ مُضـــطَرِبا كَأَنَّـــــهُ قَلَـــــبُ عاشِـــــقٍ رَجِـــــفِ

لَمّـــا رَأَتـــــهُ المِيـــــاهُ مُرتَدَعِـــــداً فيهـــا كَسَـــتهُ جَواشِـــنَ([3]) الصَـــدَفِ

فَظَـــلَّ مِـــن لِـــذَّةِ السُـــرورِ بِهـــا يَفـــتَحُ مِنـــهُ مَواضِـــعُ الشَـــنَفِ([4])

فالناقد البيئي يقرأ هذه الأبيات قراءة تكشف عن ما وراء النص، مما يجعل القارئ يتعمق في أغوار النص، وظهر هذا من خلال حديث الذات الشاعرة عن الأسماك، وهذا يبث في نفس المتلقي أهمية المحافظة على الثروة السمكية، كما أن الأسماك (الأبرميس) تتعلق بوظائف إيجابية من حيث توفير الغذاء للإنسان، والقيام بعمليات فسيولوجية عديدة لا تخرج عن نطاق الإفادة، وهي" دلالات ناتجة عن أثر البيئة الثقافية في تكوينها للمدلولات الخاصة بألفاظ الطبيعة، التي تصبح ذات جمعي،

([1]) - ينظر: إيان. ج. سيمونز، البيئة والإنسان عبر العصور، مرجع سابق، ص٢٢٧

([2]) - الشريف العقيلي، الديوان، ص٢٠٤

([3]) – جواشن: الدرع الحديدي الذي يُلبس فوق الثياب لوقاية الجسم في الحرب، ابن منظور، لسان العرب، ٢٩١/٢ مادة جشن.

([4]) – الشنف: ما يُعلق في شحمة الأذن من الحُلي، نفسه، ٢١٥/٧ مادة شنف

ومتربعة في لاوعي المجتمع (بوصفها) ثقافة تحيل إلى مواقف حية، تعبر عن الإنسان من جهة، وهي عمل دائم وسعي مستمر لتحقيق إنسانية الإنسان في مجتمعه وبيئته من جهة"([1])، وظهر ذلك من خلال وصف الشاعر لمظاهر الطبيعة الحية (الأسماك)، حيث شبّه الشاعر اضطراب الأسماك باضطراب القلب العاشق، كما شبهها بعناصر ومواد حضارية.

ج- المكون البيئي:

أولا البيئة غير البشرية في النص: -

إن مهمة الفلسفة البيئية تعليم الإنسان كيفية التعامل مع الطبيعة، وإدارة العلاقة بينه وبينها على أساس أخلاقي؛ لأن تلك العلاقة هي التي ستنعكس فيما بعد على الإنسان، وتؤثر في علاقاته بينه وبين بقية البشر، وهذا السعي من طرف الفلسفة البيئية إلى إعادة تأسيس العلاقات بين الإنسان والبيئة، والذي يعتمد على التكافلس خاصة، هو الذي سيقود البشرية إلى حماية البيئة والحفاظ عليها([2])، أمَّا الطبيعة غير البشرية فلها مركزيتها ووجودها الخاص بصرف النظر عن البشر، طالما سبقته في الظهور، وهو يعدُّ لاحقًا في ظهوره عليها، ويحيلنا هذا إلى أنها تحمل نوعًا من الاستقلال، ويتضح استقلالها بشكل أكثر بروزًا من خلال اعتماده عليها وليس العكس([3])، فالشعر يتفاعل مع البيئة لأن" الشعر ذو طبيعة مختلفة، فهو ذو منحى تأويلي في فهم العالم والبيئة والمحيط من خلال خاصية التخييل التي تقوم بتكسير العناصر البيئية، وتحويلها إلى ذات حوارية ناطقة، كما أن التأويل يبحث في فهم

([1]) – ينظر: محمد حجو: الإنسان وانسجام الكون (سيميائيات الحكي الشعبي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٢م، ص٤٨

([2]) – رجاءء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٤، ص٤٥٠

([3])- ينظر: معتز أحمد، إشكالية القيم بين الإنسان والبيئة: دراسة تطبيقية في فلسفة (هولمز رولستون) الإيكولوجية، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مج(١٣)، ع (١)، يناير ٢٠٢١م، ، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.academia.edu/128123585 ص٩٦٣

النص من خلال طبيعته وعلاقته بمحيطه ومنشئه وقارئه، وعلى هذا فإن البيئة في الشعر الحق ليست مجرد معرفة توثيقية يبحث عنها الناقد، وإن كانت تشارك في تحديد جزء من ذلك، وإنما تتحول إلى عناصر جديدة لها وظيفة مختلفة، تتأسس على الجمال من خلال عناصر الشعرية التي تتحدد بها، والتي يتيحها الشعر كجنس تخييلي، ولكن هذا التفاعل الحاصل بين الشعر والمحيط أو البيئة يحتاج إلى وعي عميق من الشاعر والقارئ معًا؛ وذلك حتى تكتمل للشعر قوته التي لا تتحقق إلى عن طريق رؤية شمولية مدركة لطبيعة المكان والزمان وعلاقتهما بالإنسان"([1]). فلذلك نجد للبيئة بكامل محتوياتها عنصرًا مميزًا في الشعر؛ فالشعراء يتأثرون بالبيئة، ويندمجون ويتفاعلون معها، فيعبر عنهم بطرائق مختلفة تبعًا لقدرة الشاعر التعبيرية، وذلك لما تقوم به من تزويد الشعراء بمكونات الصورة الشعرية التي يأخذها منها مجتمعة الأجزاء مع بعضها، ففي أي لوحة جيدة لا بد وأن نجد وجودًا للعناصر الطبيعية وهي تشكل حضورًا كبيرًا، حيث يستخدمها الشعراء بدلا من الموضوعية المطلقة في الجوانب الحسية ([2])، ونلحظ من خلال ذلك أنَّ البيئة غير البشرية كانت عنصرًا فاعلًا مؤثرًا على البشري وغير البشري، كما كانت تمثل حضورًا قويًّا ولافتًا يوازي حضور العالم البشري بروعتها وجمالها ومناظرها الخلابة، فهي لها الحق في جميع الأمور كما للإنسان أيضًا، حيث تشكلت البيئة غير البشرية في شعر الشريف العقيلي في نمطين: الأول: ثابت، والآخر: متحرك وهو الزمان، وهما على النحو الآتي:

أ- المكان:

يُعدُّ المكان من العناصر الرئيسة التي تُشَكِّل النص البيئي؛ "إذ إنَّ المكان الجغرافي ينبني لغة لتشكيلات النص الجمالية المكانية حيث تبرز تعامل الشاعر مع

([1]) – دليلة مكسح، التبيؤ الشعري ومسيرة الشعر، مجلة (أبو ليوس) مجلة علمية تصدر عن كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر، ج٤، ٢٠١٦م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.youtube.com/watch?v=AoFcCzw5-R ، ص٦٦

([2]) – محمد حسن عبدالله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م، ص٣٣

العنصر المكاني وجوانب رؤيته له، والأهداف المتوخاة من ذلك"([1])، وهذا يعني أن المكان ذو أهمية مركزية لدراسات الأدب الإيكولوجي، فهو" الحاضن الطبيعي والاجتماعي والنفسي والجمالي الذي ينمو فيه الكائن الإنساني، فليس بمستطاع الإنسان أن يتنصل من ربقة المكان، كما ليس بمستطاعه أن يتنصل من ربقة الزمان. إنه محكوم بالضرورة بشرطي الزمان والمكان([2]). فلذلك نجد في شعر الشريف العقيلي أهمية كبيرة للمكان حيث تظهر فيه ملامح البيئة الطبيعية التي تحتويها الأرض، والمتمثلة في الجبال، والأنهار، والزروع والثمار، فقد طرح من خلال شعره مجموعة من القضايا البيئية، وما يتصل بها من وعي بيئي، على نحو قوله([3]):

نَحـــنُ فـــي رَوضٍ نَضـــيرِ بَـــينَ بُســـطٍ مِـــن حَريـــرِ

بَـــينَ سُـــحبٍ مِـــن كُـــؤوسٍ وَبُـــروقٍ مِـــن خُمـــورِ

وَشَـــقيقٍ مِـــن خُـــدودٍ وَأَقـــاحٍ مِـــن ثُغـــورِ

وَنَـــدىً مِـــن مـــاءِ وَردٍ وَضَـــبابٍ مِـــن بُخـــورِ

نُزهَـــةٌ مَـــن كـــانَ فيهـــا كـــانَ فـــي ظِـــلِّ السُـــرورِ

والناقد البيئي في قراءته لهذا النص يكشف لنا تشكّل البيئة غير البشرية عبر إطار المكان(الروضيات)، بما يسمح للقارئ سبر أغوار النص والتعمق في باطنه؛ وذلك من خلال التركيز على عنصر من عناصر الطبيعة ألا وهو (الروض) الذي يتصف بالحرير، وتدور فيه الكؤوس، وتبرق منه الخمرة، ولكن الشاعر لم يرد من خلال هذا، تقديم وصفًا للروض، وإنما أتى به الشاعر واستعاره من البيئة؛ ليُبين لنا ويوضح مدى عشقه وولعه بالطبيعة، فالروض هو المعادل الموضوعي لإحساس الشاعر باللذه

([1]) – محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات ،٢٠٠٥-٢٠٠٦م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://ebook.univeyes.com/109010 ص١

([2]) – سعد الدين كليب، جماليات المكان (آليات التبدي المكاني في الشعر)، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني: https://www.startimes.com/?t=28567097 بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٠م

([3]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٣٧

والمتعة، فلذلك يصف الشاعر الورود بالخدود، والثغور، والأنداء، وهنا تكمن متعة الشاعر عشقه لجمال المكان/ الطبيعة، ويظهر ذلك من خلال البيت الأول (نَحنُ في رَوضٍ نَضيرِ) وهذا يظهر للمتلقي مدى عناية الشريف العقيلي بالروضيات التي تمثل الطبيعة، ومن هنا يبدأ الاندماج العاطفي مع البيئة مما أكسب التجربة الشعرية بعدًا معنويًّا، ثمَّ يستعين الشاعر (الشريف العقيلي) بعناصر البيئة (السحب– البرق– الماء– الضباب) وهذا يناسب التأمل والسكون والتفكير في روعة البيئة وجمالها، فلذلك يمكننا القول: إنَّ الروضيات/ المكان في هذه الأبيات قد شكلت حضورًا موازيًّا ومساويًّا ومتكاملًا مع العالم البشري، وهكذا يتجلى المكان على مستوى الأبيات، ويظهر عناية الشاعر بتفعيل حضوره عبر المسارات المختلفة التي تعطي القارئ أفقًا واسعًا عن مدى التحول في الرؤية الإبداعية في النظر إلى البيئة بعناصرها المختلفة.، فالطبيعة ليست فقط محيطًا خارجيًّا بل محفزًا للفكر والشعور، "فالحضور هنا للبيئة الطبيعية، بصفتها فاعلًا مؤثرًا على البشري وغير البشري، وبصفتها مفعولًا به تحت تصرُّف البشري، وبصفتها عاملًا مساعدًا في حياتهم"([1]).

وقد عمد (الشريف العقيلي) من خلال شعره الإيكولوجي، ومدلولاته الإبداعية، أن يوجه بالحفاظ على البيئة من خلال عرضه للطبيعة غير البشرية المتمثلة في المكان، على نحو قوله([2]):

مدامــة تســلُبُ بــاللطفِ الحِجــى ونورهــا يهتــك أســتار الــدجى

وملجــأ مــن كــل هــمٍ وتــرَح ومنتهــى كــل ســرورٍ وفَــرَح

يغنــي عـن المسـك الفتيـق نشـرُها وعــن جميــع مــا يُسُــرُّ ذكرهــا

قـد فـاز مـن واصـلها ولـم يخـب لأنهــا أجلــبُ شــيء للطــرب

([1]) - تهاني قليل أحمد الرفاعي ، تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبدالعزيز مشري: مقاربة في ضوء النقد البيئي، ص٤٢١

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٣٠٦-٣٠٧

تسعى بهارُ ودّ كخطوط البانِ كأنها وكأسها شمسان
فللكثيب حين تبدو ردفُها وللغزال جيدها وطرفُها
وللقضيب لينُها وقدَّها وللرحيق والشقيق خدَّها
في روضةٍ تُزهى بزهر زاهرِ وحُسنِ نوارِ ونبتٍ ناضرِ
جادت عليها أدمُعُ السحابِ حتى كستِها حُتلَ العتَابي
يبدي لنا رَيحانُها جماجما حمرٍا وخضرًا قد حكت عمائما
والنرجس البرزي زهر مونِق مثلُ عيونِ لعيونٍ ترمُقُ

يُمثل المكان المصدر الأساسي لتشكل أطراف الصورة الشعرية داخل الأبيات، بخصائصها الحسية والتجريدية، حيث يظهر من خلال هذه الأبيات مدى استفادة الشاعر من مكونات البيئة المكانية لتشكيل مدلولاته المختلفة، وكان"لكل شاعر خصائصه في إنشاء الصورة الشعرية، حسب ما يفتضيه سياق قصائده، والاستعانة بهذا النوع من الصور عادة، يسعى من خلاله الشعراء إلى تحرير الإنسان عبر تحرير العلاقات بين العناصر الطبيعية، وهو ما يولد من العلاقات الجديدة، قيمًا إنسانية واجتماعية وربما فكرية وفلسفية"([1])، ورؤية الشاعر–هنا– نابعة من حسِّه الإيكولوجي، واتضح ذلك عندما صوَّر الشاعر الروض/ المكان بجميع مشتملاته من زهور، ونبات، وأشجار، وطير، وهذا يوضح مدى العلاقة الوطيدة بين الشاعر والبيئة التي يقطن بها، حيث تمثل علاقته بالروض نوعًا من أنواع التشخيص أو الإسقاط النفسي، وظهر ذلك من خلال إشارة الشاعر إلى الخمرة في قوله: (يغني عن المسك الفتيق نشرُها – وللقضيب لينُها وقدَّها – جادت عليها أدمُعُ السحابِ) حيث يصف الخمر بمدامة تسلب العقول، وهذه المدامة تتميز رائحتها بالمسك، كما يصف ردفها كفتاة جميلة، وجيدها

([1]) – محمد إبراهيم أبو سنة، تأملات نقدية في الحديقة الشعرية (قراءات ودراسات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩م، ص١٤

وطرفها كغزال، وتتمايل كتمايل القضيب في ليِنُها وقدَّها، كما أن الخد كالورد، جادت عليها أدمُعُ السحابِ حتى كستِها حُتلَ العتَابي، ومن خلال هذا النص البيئي نستنتج مجموعة من الأمور أهمها:

- أن الشاعر الشريف العقيلي يتأثر بالبيئة والمكان تأثرًا كبيرًا، وهذا يؤثر في فكره وشعوره وإحساسه وعلمه وثقافته.
- أن الروضيات تمثل حالة الأنس والطمانينة لدى الشاعر فكانت مدخلا للتفكير الدقيق والتأمل الواعي لما اختصت بها الروضيات، حيث كان يجد فيها الشاعر المتعة، واللهو، وشرب الخمر، فهذا جعلتها عنصرًا مميزًا من عناصر البيئة.

ب- الزمان:

ينقسم الزمن في العرف الفلسفي على زمن موضوعي فيزيائي، وهو الذي تسير على وفقه نواميس الكون جميعها، وزمن ذاتي، ويصطلح عليه بالزمنية وتعني- في بعدها الجامع- الزمن منظورًا إليه من خلال علاقة انتساب، فزمنية الوعي هي الزمن متشكلًا على وفق منظومة الوعي، وهو مصطلح لقى أشد رواجه مع المذهب الظواهري([1])، وقد قدَّم (كانت) الزمن " كشكل وحيد للتجربة الإنسانية وشرط الظواهر كلها وكحدس صرف، بل إن الحدس الزمني عنده يختزل الأحداس الباطنية كلها، ويتشكل هذا الحدس الزمني قبل الأشياء كلها، إذ هو المعنى الأول"([2]). فدراسة الزمن" يكشف عن القرائن التي يمكن من خلالها الوقوف على كيفية اشتغال الزمن في العمل الأدبي"([3])، أن الزمان – بحسب رؤية (كانت)، فإن هذا ليس شيئا موجودًا بذاته أو

([1]) – ينظر: فريدة غبوة، أسس المنهج الظواهري عند إدموند هوسرل، مجلة التواصل، جامعة عنابة- الجزائر، ع (٤)، ١٩٩٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/10599 ،ص١٩٧-٢١١

([2]) - كانط: العقل الصريح Laraison pure ، مطابع فرنسا الجامعية، باريس، ط١٢، ١٩٩٥م، ص ٦٩-٧٠

([3]) - ينظر: وجدان صادق صدام، ، ومعتز قصي ياسين ، مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد ، بحث منشور مركز دراسات البصرة والخليج العربي، العراق، ع١٧، ٢٠١٤، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/940686 ص٢٦٦

فطريًا في الأشياء كتعين موضوعي لها، والزمان " ليس أي شيء سوى شكل حسنا الباطني أي شكل زكانة (حدس) ذواتنا، وشكل حالتنا الباطنية، والزمان لا يمكن أن يكون تعيينًا خالصًا للظواهر الخارجية، وهو لا يشير إلى شكلها ولا إلى مركزها...([1]). وهذا يعني أن البيئة والزمان يتحددان بالرجوع إلى بعضهما، ولكن على نحو لا يسمح للبيئة بأن يقال عنه إنه زماني، ولا للزمان بأن يقال عنه إنه بيئي، ونجد (الشريف العقيلي) يوظف عناصر البيئة متخذًا من الزمان مركزًا لشعره، حيث يقول:

وَهَيفـاءَ لَـولا مـا تَمَلَّـكَ وَجهُهـا مِـنَ الحُسـنِ مـا كانَـت لِتَطمَـعَ فـي
تَحُـلُّ عَـنِ الكـافورِ جَيـبَ قَميصِـها وَتَعقِـدُ أَطرافَ الـرِداءَ عَلـى المِسـكِ
إِذا سَـفَرَت أَبصَـرتَ خَـدّاً وَسـالِفاً كَصُبحٍ يَقينٍ تَحتَ لَيلٍ مِنَ الشَكِّ

إن قراءتنا لهذا النص وفق منظور بيئي يجعلنا نقول: إنَّ الطبيعة غير البشرية في النص تتمثل في الزمان الذي يعدُّ تجليًا للشاعر في تصوير حالته النفسية، حيث يخلط الشاعر في وصفه ما بين الطبيعة ومحبوبته، حيث إن محبوبته ترتدي حجابًا أو نقابًا على وجهها، فإذا رفعت ذلك النقاب أصبح وجهها كالصباح المنير الذي يأتي عقب الليل، وما هي إلا صورة ناطقة تخيلية تسهم في ملء الجو بهجة وسرورًا، فلذلك نرى أنَّ الزمان شارك مع عناصر الطبيعة في رسم الصورة الشعرية التي جاءت مساوية ومتوازية للعالم البشري الذي جاء محصلة للتماهي والاندماج العاطفي مع الزمان أحد عناصر البيئة التي استعان بها الشريف العقيلي في وصفه.

وعلى نحو قوله ([2]):

غادِ الصَبوحَ مَعَ الصَباحِ المُسفِرِ وَانعَـم بِـراحٍ ريحُهـا كَـالعَنبَرِ
فَالطَـلُّ مِـن فَـوقِ الشَـفيقِ كَلُؤلُـؤٍ رَطبٍ عَلى رَطبِ العَقيقِ([3]) الأَحمَرِ

([1]) – عمانوئيل كانط، نقد العقل المجرد، ترجمة: أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٥م، ص٧٩
([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٤٩
([3])- العَقِيقُ : حَجَرٌ كريم أحمر يعمل منه الفصوص، ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٢/٩-٣٢٦ مادة عقق

وَالآسُ إِن هُــوَ جاءَنــا بِزَبَرجَــدٍ وافــى إِلَينــا الياسَــمينُ بِمَرمَــرِ

وَالأَرضُ يُجلــى جيــدُها بِقلائِــدٍ هاتيـكَ مِـن ذَهَـبٍ وَذي مِـن جَـوهَرِ

وقد عبَّر الشاعر عن نظرته الإيكولوجية من خلال الزمان الذي جاء متمثلًا ومشاركًا لعناصر الطبيعة (العنبر– العقيق الأحمر– الآس– زبرجد– الياسمين) وغيرها من عناصر الطبيعة، وذلك من خلال تجربة شعرية تتسم بالحركة، حيث يدعو الشاعر إلى شرب الخمر في بداية الصباح، وذلك في مظهر ومنظر بديعين مليئين بالورود والزهور، كما وظف الشاعر الصباح/الزمان مفيدًا من دلالة خصائصه: لونه وجماله بوصفه عنصرًا ونظامًا بيئيًّا لا غني عنه، كما صوّر الورد باللؤلؤ الذي ظهر وكأنه رطب تشقق على عقيق أحمر، وقد رسم الشاعر هذه الصورة من خلال وعيه الإيكولوجي بما يحيط به من عناصر البيئة، فصور الآس الجميل المنظر بالأحجار الكريمة، كما يشاهد الياسمين بصورة مرمر، كما أن الأرض تجلى جيدها بقلادة من الذهب والجواهر، ووما زاد الصورة الإيكولوجية جمالًا استخدام الشاعر للألفاظ التي تدل على الزماج وألفاظ مستوحاة من الطبيعة مثل (الصبوح – الصبا– الياسمين– الأرض... إلخ) لما لهذه الألفاظ من دور كبير واضح، ودلالات إيكولوجية.

ثانيا: تطبيع الإنسان.

من الواضح أن الشاعر لم يكتف بأنسنة الحيوانات والجمادات، فاتجه إلى تصوير الإنسان بالطبيعة، وهذا من منطلق أنَّ"العلاقة بين الإنسان والبيئة ليست علاقة جديدة ، حيث إن البيئة في أبسط تعريف لها هي كل ما يحيط بالإنسان ، أي أنها هي الإطار العام المحيط به والذي يمارس فيه جميع أنشطته الحياتية ، ولذا فقد تنبه الكتَّاب والمبدعون إلى ما يحيط بهم من مكونات الطبيعة ، فعمدوا إلى تضمين كتاباتهم الكثير من الرؤى الإبداعية المتعلقة بالبيئة والطبيعة ، ومن بين هذه الرؤى ما يعرف بتطبيع الإنسان ، وفيها يقوم الشاعر بتحويل بطل قصته إلى طائر أو حيوان أو

شجرة أو صخرة أو أي شيء آخر من مكونات الطبيعة ، في إشارة منه إلى تطبيع الإنسان"([1]).

وعندما ندقق النظر في شعر (الشريف العقيلي) نجد أنَّ تطبيع الإنسان قد جاء في مواضع كثيرة في قصائده ومقطَّعاته، وظهر ذلك في قوله([2]):

كَـأَنَّ البَهَارَ([3]) الغضَّ فِيهَا مَدَاهِن مِـنَ التِبـرِ([4]) صِـبْغَتْ فـي غُضُـونِ

كَـأَنَّ انتِشَـارَ القَطـرِ والزَّهْـرُ زاهِـرٌ عَلـى الـوَردِ، دَمـعٌ فـوق خـدٍ مُـوَردِ

وَتُزْهِـــى بِمَنتثُـــورٍ يلـــوحُ كَجَـــوهَرٍ علـــى نمَـــطٍ بـــينَ الريـــاضِ مُبَـــدَّدِ

ويعبر الشاعر من خلال رؤيته الإيكولوجية عن بعض مظاهر الطبيعة، عن طريق تطبيعها وذلك حينما أضفى عليها مشاعره وخياله، فنجده يشبّه شكل البهار بلونه الأصفر بالمداهن التي صبغت على غصون من الزبرجد، وهذا التشبيه يعكس لنا تطبيع الشاعر مع بيئته، كما تعكس لنا "تشكيل اللاوعي في المتلقي أو اللاوعي المكاني في حالة الإيكولوجية"([5])، ثم يتجه الشاعر إلى تشبيه قطرات المطر بدموع فوق خدٍ مُوَردٍ، حيث أراد من خلال هذا التطبيع مع البيئة أن يظهر أن خدود محبوبته أحسن وأفضل من الزهر، ودموعها أشدّ نقاءً من قطرات المطر، وقد خان الشاعر هذا التشبيه، حيث غفل أن الدموع توحي بالحزن، والمأساة، في حين أن قطرات الندى توحي بالسعادة والسرور، وهذا يعدُّ تناقضًا، ثم يتجه الشاعر من خلال وعيه البيئي في البيت الثالث إلى تشخيص الروضة عروسًا تتبختر وتغتر بزينتها، حيث شبه انتشار الزهر بالجواهر التي تكون على نمَطٍ بينَ الرياضِ مُبَدَّدِ.

([1]) - محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، ص٤٣٦٨

([2]) - الشريف العقيلي، الديوان، ص ١١٤

([3]) – البهار: زهر أصفر اللون، المعجم الوجيز، ص٦٤

([4]) – التبر: فتات الذهب أو الفضة قبل أن يصاغا، ابن منظور، لسان العرب ،١٢/٢-١٣ مادة تبر

([5]) – جيليكا توشيتش، النقد البيئي(دراسة بيئية في الأدب والبيئة)، ترجمة: سناء عبدالعزيز، مجلة فصول، ع(١٠٢)، مج(٢٦)، ٢٠١٨م، https://search.mandumah.com/Record/9777 ١، ص٣٢٨

على نحو قوله أيضًا ([1]):

وَنَهرٍ مِنَ الأَنهارِ أَلقَت يَدُ الصَّبا عَلَيــــهِ شَــــقيقاً نـــارُهُ تَتَضَـــرَّمُ

كَأَنَّ اِبيِضاضَ الماءِ تَحتَ اِحمِرارِهِ صَفيحَةُ سَيفٍ قَد جَرى فَوقَها دَمُ

ومن يمعن النظر في هذا الخطاب الإيكولوجي يلحظ أن الشاعر يجعل ريح الصبا تلقي أزهارًا على النهر حيث تجعله يتضرم احمرارا، كما اتجه إلى تطبيع ريح الصبا وجعلها كائنًا حيًّا تحرك الشقائق وترميها على النهر، معتمدا في ذلك الصورة التشبيهية؛ لما تتميز به من خصائص تمكنها من بث الحياة والحركة في الجماد.

ومن خلال ذلك يمكننا القول:

- لم يكن حضور البيئة في شعر الشريف العقيلي مجرد وصف خارجي، وإنما حمل أبعادًا فلسفية تعكس رؤيته للحياة، إذ وظف الطبيعة للتعبير عن تأملاته في الوجود والزمن، كما استخدم عناصر الطبيعة رموزًا دالة على القيم الأخلاقية والاجتماعية، حيث استلهم من البيئة صورًا تعبيرية تجسد معاني القوة، والضعف، والتغير، والاستقرار.
- تعد العلاقة بين الإنسان والبيئة محورًا أساسيًا في شعر الشريف العقيلي، حيث تظهر الطبيعة بوصفها كائنًا حيًا يتفاعل معه الإنسان. ففي أشعاره نجد صورًا تعكس مدى حب الطبيعة والاندماج معها، كما يستحضر عناصرها ليجعلها جزءًا من المشاعر الإنسانية. وتتجلى هذه الألفة في استخدامه للرياح، والأمطار، والأشجار، والحيوانات كوحدات تعبيرية تعكس مدى التوازن بين الإنسان والطبيعة. ويستخدم العقيلي الطبيعة كوسيط شعري للتعبير عن الوجدان البشري، حيث تتناغم الصور البيئية مع العواطف الإنسانية، مما يعكس رؤية تقوم على التناغم بين الكائنات الحية ومحيطها الطبيعي.

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص ٢٦٤

المبحث الثاني: التشكيل الفني الإيكولوجي وأثره في اختيار الوسائل الفنية في شعر الشريف العقيلي.

أولا: المعجم الإيكولوجي:

للغة الشعر مدلولها الواسع الرحيب، بوصفها خلاصة التجربة الشعرية، "بكل ما تتضمنه من ألفاظ، وصور، وأخيلة، وعاطفة، وغيرها من الأدوات الفعالة، التي يرتبط بعضها ببعض، بعلاقات وشيجة من التواصل، والتأثير والتأثر، فالشعر هو استكشاف دائم لعالم الكلمة، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة"([1])، ولغة الشعر هي التجربة الشعرية بأكملها، مجسدة، لا من خلال الكلمات، وما يمكن أن توحيه هذه الكلمات من رموز ودلالات وإيحاءات... ويعرفها (جبور عبدالنور) هو "مجموع الألفاظ التي تتعلق بوسيلة التخاطب والتفاهم بين جماعة من الناس. وهي تعبر عن واقع الفئة الناطقة بها، ونفسيتها، وطبعها، ومناخها الاجتماعي والتاريخي"([2])، فالشعر نظام لغوي، واللغة " هي عيـن الإنسان إلى الوجود، وهي أيضـًا طريقته في تركيب هذا الوجود وبنائِه، ولما كان الأمر كذلك فقد احتاج الإنسان في تعمقها ومعرفة أسرارها وطرق تناولها لذاتيته الإنسانية إلى نوع جديد من الدرس([3])، فلم تعد اللُّغة انعكاسًا في الذاكرة الإنسانية لشكل خارجيٍّ، ولكنها صارت أداةً للتعبيرِ عن تجربة حسيّة للإنسان ومعاشه. ودائما الشاعر المجيد يحاول التواصل للكشف عن جوانب البيئة داخل وعيه الفردي والجمالي، كما أنه يحاول الكشف عن لغة جديدة، تلائم مكونات تجربته الشعرية البيئية مؤمنا بأن لكل تجربة فنية لغتها الخاصة أو شبه الخاصة بها، تتطور بتطور الصور الذهنية والجمالية المواكبة لها، من حيث علاقتها بظروف معينة،

([1]) – عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨، ص١٧٤

([2])- جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٢٧

([3]) - بييرجيرو، الأسلوبية، ترجمة : منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط٢، ١٩٩٤م، ص٦

وأفكار، وتصورات وآراء، وقضايا تتشكل، باستمرار، وتدفق، تشكلا يتناسب مع واقع الحياة المتغير([1]).

كما نجد أن الشعر يتأثر بالبيئة وظروفها المحيطة بالمبدع التي يصدر عنها بشعره؛ لأن الشعر انعكاس لمجريات بيئته، حيث زودت البيئة وقاموسها اللفظي (الشريف العقيلي) بجملة كبيرة من ألفاظها ومفرداتها، فنجده يرسم الطبيعة بريشته ظهرت فيها ألوان الطبيعة الرائعة، حمرة شقائق نعمانها، وبياض أقحوانها، وتفوح منها شذى أزهارها ونوارها على اختلاف أنواعها، كما تتداخل ألفاظ الطبيعة ومفرداتها غليظها ورقيقها جارية معًا محاولة دخول قاموس الشريف العقيلي، راصدًا الكثير منها داخل معجمه، حيث اعتمد في ذلك على التخير المقصود لألفاظه منتقيًا ما يتناسب مع ألفاظه ومعانية وذائقته الشعرية، وخاصة أن الطبيعة المصرية تتمتع بجمال يتمثل في نيلها وبساتينها، وبركها وأفانينها، وأرضها وسمائها وأزهارها وأشجارها، وثمارها، ورياضها، وأنهارها، وخيلها، وكواكبها، ونجومها، وبدرها، وهلالها... إلخ.

كما أن (الشريف العقيلي) يعمد إلى استعمال الأسلوب اللفظ الرقيق، كما يميل إلى السهولة والوضوح، كما تتسم لغته بسلاسة العبارة وحسن الديباجة، كما جاءت ألفاظه مناسبة للمعاني البيئية التي طرحها، حيث تكونت أدوات معجمه الإيكولوجي من مجالس السمر والطرب واللهو، والبيئة الصحراوية التي تحتوي على جبالها وأوديتها، وجبالها، كما تتكون أيضًا من الرياض، والزهر، والشجر، ويتضح ذلك في قوله([2]):

الرَعــدُ مُنتَحِــبٌ وَالبَــرقُ مُلتَهِــبٌ وَالقَطـرُ مُنسَـكِبٌ وَالمـاءُ مُضـطَّرِبُ

([1]) – السعيد الورقي، لغة الشعر الحديث، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٣، ص٧١-٧٢

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص ٦٢-٦٣

وَالــرَوضُ مُبتَسِــمٌ وَالزَهــرُ مُنــتَظِمٌ وَالشَــمسُ تُســفِرُ أَحيانــاً وَتَنتَقِــبُ
وَالغَـيمُ فــي الأُفُــقِ مَمـدودٌ سَـرادِقُهُ وَالطَيـرُ يَصـفِرُ وَالأَوتـارُ تَصـطَخِبُ
وَالجَــوُّ هــامَ كَصَــبٍّ صَــدَّ آلِفُــهُ فَدَمعَــهُ واكِــفٌ تَحتَثُّــهُ الكُــرَبُ
وَكُلُّ نـاعورَةٍ فـي الرَوضِ قَد نَعَرَت كَغـادَةٍ هَزَّهـا مِـن سُـكرِها طَـرَبُ
وَالــوَردُ يَضــحَكُ وَالمَنثــورُ مُنتَشِــرٌ كَأَنَّــهُ جَــوهَرٌ فــي الأَرضِ يُنتَهَــبُ
وَالياسَــمينَ كَمِثــلِ الــدُرِّ تَنشُــرُهُ عَلى جَواهِرِ أَزهارِ الرُبى القُضُبُ([1])
كَأَنَّمــا النَــرجِسُ البَــرزِيُّ حــينَ بَــدا عَلـى الغُصـونِ لُجَينٌ حَشـوُهُ ذَهَـبُ
وَعِنـدَنا خَنـدَريسٌ([2]) فـي الـدِنانِ لَهـا مِن قَبلُ أَن تُعرَفَ الأَزمـانُ وَالحِقَبُ
المـاءُ مِـن قَبـلُ أَصـلٌ فـي تَجَسُّـمِها وَالشَـمسُ وَالظِـلُّ وَالأَهـواءُ وَالعِنَـبُ

وقد عكف الشاعر في هذه الأبيات على وصف مشهد خلاب من مشاهد الطبيعة الساحرة من حوله، مسلطًا عدسته الشاعرة بإحكام، وتأنٍ، وذكاء، على كل ما يتراءى له من بساتين وحدائق، ورعد، وبرق، وروض، وزهر، وغيم، وطير... إلخ ملخصًا انبهاره بالبيئة وعبقها وطيب أرريجها، مما دفعه إلى استخدام هذه الألفاظ، والجمل والعبارات الشعرية داخل معجمه الإيكولوجي، التي تدل بشكل أو بآخر على العلاقة التبادلية بين الشاعر والبيئة، معتمد في ذلك على المقابلة بين صورة الرعد والبرق، وبين صورة الأرض والزهر، كما يطابق بين سفور الشمس وانتقابها، وذلك من خلال أنسنة مكونات البيئة، حيث جعلها تتواءم مع المعجم الإيكولوجي الذي يستخدمه الشاعر، ومن تلك الألفاظ: (الـرعـد- الـبـرق- الـقـطـر- الـمـاء- الـروض- الـزهـر- الـشـمـس- الـغـيـم- الـطـيـر- الـجـو- الـنـاعـورة- الـورد- الأرض-

([1]) - القَضْبُ من الشجر كلُّ شجر سَبِطَتْ أَغصانُه ، وطالت ، والقَضْبُ : ما أُكِلَ من النبات المُقْتَضَبِ غَضّاً ؛ وقيل هو الفُصافِصُ ، ابن منظور، لسان العرب، ٢٠٢/١١-٢٠٣ مادة قضب
([2]) - الخَنْدَرِيسُ : الخمر القديمة ؛ قال ابن دريد : أَحسبه معرباً سميت بذلك لقدمها ؛ ومنه حِنْطَة خَنْدَرِيسٌ للقديمة، نفسه، ٤/، ٢٣١-٢٣٢

الياسمين- الأزهار- النرجس...) فهذه الألفاظ الرائعة جاءت في غاية الإتقان والحسن والجمال، حيث تبرز رقة المشاعر، وسلامة الذوق، ودقة التأمل، والعواطف الجياشة تجاه البيئة، كما نلحظ أيضًا أن الشاعر اختار ألفاظه الرقيقة بعناية فائقة وجعل كل لفظ في مكانه الصحيح والصائب، مما جعلها مناسبة للمعاني الموجودة.

وللبيئة تأثيرُها الخلاب في حياة الشريف العقيلي، في كل زمان ومكان، تنشئه، وتُشكلُه، ويرتكز ذلك في معجمه الإيكولوجي، الذي يبرهن على وعي الشاعر البيئي، ويتضح ذلك في قوله([1]):

أَمـــا تَـــرى الزُهـــرَةَ وَال هِـــلالَ جـــاءا بِالعَجَـــب

تُضـــيءُ هاتيـــكَ وَذا بَـــينَ النُجـــومِ يَلتَهِـــب

كَـــأُكرَةٍ مِـــن فَضَّـــةٍ وَصَـــولَجانٍ مِـــن ذَهَـــب

فَاِشـــرَب عَلـــى نورَيهِمـــا وَسَـــقِّيها وَاِنتَخِـــب

قَـد هَجَونـا وَكـانَ غَيـرَ صَـوابِ وَرَمَينـا لِعَنبَـرٍ فـي تُـرابِ

عَجَبـي فِـيَّ إِذ اَتَيـتُ بِشَـمسٍ كَيـفَ حَتّـى أَطلَعتُهـا فـي ضَـبابِ

ونلاحظ في تأملنا بمعالم هذه الصورة التي يرسمها الشاعر بهذه الأبيات استحضاره للبيئة التي أصبح عاشقا لكل تفاصيلها، فلذلك جاءت ألفاظه رقيقة مبدعة متماشية مع ما تراه من مناظر خلابة، ويظهر ذلك من خلال تعجب الشاعر من الزهرة التي تشع نورها، والهلال الذي يشتعل لهبًا، فقد شبهما على هيئة كرة من فضة، وخلفهما صولجان من ذهب، كما نلحظ براعة اختيار الشاعر للألفاظ الجزلة التي تنسجم مع البيئة، وتتوافق مع مقصديته الشعرية، ومنها: (الزُهرَةَ – الهلال- النجوم- فضة- صولجان- عنبر- تراب- شمس- ضباب-

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٥٥

تضيء- يلتهب) فهذه الألفاظ البيئية قريبة من الذهن، ملائمة لوعيه الإيكولوجي، كما تفيد تحقق الصورة وثبوتها أمام ناظريه. فالميزة الموضوعية" التي كانت من نصيب هذا الشاعر المطبوع هي تعشق الطبيعة والهيام في مظاهرها وألوانها وعكس صوره الضاحكة المشرقة في شعره وحياته ولهجته حتى غنيت ألفاظه بمعانيها وصفاتها وحركاتها، وظهر على قصيدة فنها وبهجتها، وكادت تكون بعض مقطوعاته تراتيل ابتهالية للطبيعة التي أحبها وضحك للحياة من أجلها"([1]).

وعلى نحو قوله ([2]):

أَرى الغَـــيمَ يَخلَـــعُ مِـــن خَـــزِّهِ عَلـــى الجَـــوِّ مُذهَبَـــهُ الأَدكَنـــا

فَقُـــــم فَاِســـــقِنيها خَلوقِيَّـــــةً أَلَـــذَّ مِـــنَ البُـــرءِ بَعـــدَ الضَـــنى

فَـــــذا الـــــوَردُ لَنـــــا لاذَةً وَذا المـــاءُ يَحكـــي لَنـــا جَوشَـــنا

ومن يُنعم النظر في هذا الخطاب الشعري يلحظ أنه احتوى على الكثير من الألفاظ الإيكولوجية التي تشير إلى براعته وقدرته على جعل الصورة متكاملة، حيث يصور لنا الغيم الذي ينتشر في الجو حتى يصبح لونه داكنًا، وعلى الرغم من ضبابية الجو لكنه يطلب من الساقي أن يأتيه بخمر مثل لون الدم، ثم يشربها ويصف لنا جمالها ولذتها، فهي ألذ من برء المريض الذي طال مرضه، فلذلك جاء استخدام الشاعر للألفاظ من المعجم اللغوي الإيكولوجي مناسبًا للمعاني، ويتضح ذلك من خلال الكلمات الآتية: (الغيم يخلع- الجو مذهبه- فذا الورد- وذا الماء) فكان معجمه الإيكولوجي في هذه الأبيات يميل إلى السهولة والوضوح، لا تعقيد فيها، ولا غرابة، ويعود هذا إلى حس الشاعر المرهف بالبيئة وعشقه لها.

([1])- – الشريف العقيلي ، المقدمة، ص٢٥

([2]) – نفسه ، ج٢، ص٢٧٥

وقريب من هذه اللغة الإيكولوجية التي تظهر براعة الشاعر التصويرية التي يستخدمها أثناء صياغته لصوره الفنية، فنجد يقول([1]):

لَنَـــا أَخٌ يُحْسِـــن أَنْ يُحْسِـــنَا رِضَـــاهُ لِلْجَانِـــدين عَـــذْب الجَنَـــى

قَـــد عُرِفَـــتْ رَوضَـــة مَعْرُوفِـــهِ بأنهـــا تُنْبِـــتُ زَاهْـــرَ الغنَـــى

إذا تَبَـــدَّى وَجْـــهُ إِحْسَـــانِهِ تَنَزَّهـــت فيـــه عُيـــون المُنـــى

ونلاحظ في مطالعتنا لهذه الأبيات ما نثره منشدها من خلالها من أدوات معجم لغوي إيكولوجي ذي ارتباط وثيق بألفاظ البيئة، حيث عمد إلى التشكيل بعناصر البيئة حتى أصبح ملمحًا فنيًّا واضحا عند المبدع/ الشريف العقيلي، حيث نجده يطوع ألفاظ البيئة في مدح ممدوحه، مما يضفي تناغمًا شعريًّا مع كل مكونات المنظومة الإيكولوجية لدى القارئ، فيصور رضا ممدوحه بستانًا يجتني منه ما عذب من الجني، ويصور معروفه كروضة ينبت منها زهر الغنى، كما يشبه إحسانه بالوجه الذي تتنزه فيه عيون الآمال التي تتطلع إليه لتتمنى عطايا إحسانه، فنلحظ أن الشاعر استخدم معجمه الإيكولوجي في ربط المديح بعناصر البيئة، فكان أشد امتزاجًا بالطبيعة وأشد التصاقًا بالأرض، بما دأب عليه من تصوير جوانب ناطقة وإضفاء جوانب أكثر جاذبية وتأثيرًا في أذهان المتلقين ومدركاتهم، ويتضح ذلك عندما جعل الرضا جَنَىً، والإحسانن زهرًا، والمعروف مَنْزَها.

وقد تعمق الشاعر في رصد المظاهر الإيكولوجية في معجمه اللغوي، إشارة منه للعلاقة القوية بينه وبين البيئة، وذلك من خلال اختيار الألفاظ والصور، ويتضح ذلك في قوله([2]):

أَصـبَحتُ أَكثَـرَ خَلـقِ اللَـهِ كُلُّهُـم عِشقاً لِـرَوضٍ قَد اِخضَرَّت جَوانِبُـهُ

([1]) – نفسه، ص٢٧٤

([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٧٤

رَيّــاهُ نَكهَتُــهُ وَالقَطــرُ مَضــحَكُهُ وَالــــوَردُ وَجنَتُـــهُ الآسُ شـــارِبُهُ

فَفـــــيمَ لا أَتَرَضّـــــاهُ بِصـــــافِيَةٍ مِمّعـا يُناسِـبُ مِنهـا مـا تُناسِـبُهُ

وَقَـد وَجَـدتُ سَـبيلَ العُـذرِ واضِـحَةً بِـــأَنَّ لَيلِـــيَ لَـــم تَطلُـــع كَواكِبُـــهُ

في هذه الأبيات، تتجلى مظاهر الإيكولوجيا اللغوية من خلال معجم شعري مشبع بألفاظ الطبيعة وصورها، تكشف عن علاقة حميمة بين الشاعر وبيئته. يظهر هذا الارتباط في استعماله لألفاظ تنتمي إلى الحقل الطبيعي، كـ"روض" و"اخضرت جوانبه"، وهي إشارات دالّة على الخصوبة والازدهار، تعبّر عن تماهٍ وجداني مع المكان. كما تبرز ألفاظ مثل "رَيّاهُ" و"نكهته" لتدل على تفاعل حسي مباشر مع الطبيعة، وخاصة عبر حاسة الشم، بينما يصوّر "القطر" باعتباره "مضحكه"، في مشهد تتسم فيه عناصر الطبيعة بالحيوية والفرح، وتضحي كائنات تتبادل المشاعر مع الإنسان. ويعمد الشاعر إلى تشخيص الطبيعة، فيجعل للورد وجنةً وللآس شاربًا، مما يعمّق أبعاد العلاقة بينه وبين العناصر النباتية من حوله، في انسجام لغوي وجمالي واضح. ويتجاوز حضور الطبيعة حدود الوصف إلى أن يصير امتدادًا للذات، فالعشق الذي يُبديه الشاعر للروض ليس افتتانًا عابرًا، بل هو تعلق وجودي يؤكد اعتماده النفسي والروحي على البيئة. وفي هذا الإطار، تأتي صورة "الليلة التي لم تطلع كواكبها" كإشارة إلى خلل في التوازن الطبيعي يعكس اضطرابًا داخليًا، فتغدو الطبيعة مرآة لحالته الشعورية. كل ذلك يُظهر تفاعلاً عميقًا بين الإنسان ومحيطه، حيث تتداخل المشاعر مع العناصر البيئية لتشكّل لغة ذات بعد إيكولوجي واضح، تجعل من الطبيعة ليس موضوعًا للوصف فحسب، بل كيانًا حيًّا متصلًا بالذات واللغة.

ومن خلال مطالعة معجم الشاعر الإيكولوجي يمثل جانبًا مميزًا من إبداعه الشعري، حيث استطاع أن يوظف جمال اللغة وقوة الأسلوب في تصوير مشاهد الطبيعة بأسلوب يجمع بين الدقة الفنية والبلاغة الشعرية، كما استخدم الشريف العقيلي

لغة غنية بالتفاصيل الدقيقة التي تجعل القارئ وكأنه يشاهد المشهد بنفسه، كما لجأ إلى استخدام ألفاظ تتسم بالرقة والنعومة والسهولة والوضوح؛ لتناسب موضوع الطبيعة مبتعدًا عن الجزالة المفرطة. كما أنَّ المعجم الإيكولوجي عند الشاعر غني ومتعدد الأبعاد، حيث استخدم مفردات الطبيعة كأداة للتعبير عن الجمال، والتحولات النفسية، تمكن من تجسيد الطبيعة في شعره بطريقة تعكس وعيًّا بيئيًّا وإحساسًا جماليا عميقًا.

ثانيا: الخيال الإيكولوجي:

وقد تناول هذا المصطلح (لورانس بويل) حيث يقول هو:"الكيفية التي تشكل بها البيئة المادية الخيال"([1]) وأطلق على علاقة الأديب ببيئته التمثيل وقصد منه "عملية الدفاع عن البيئة بوصفها كائنًا، وبذلك يحتاج الخيال حساسية أكبر بالطبيعة أو الواقع، وهي حساسية أشبه بالتصوف الروحاني"([2])، وهذا يعني أن الخيال البيئي يقصد به الأعمال الخيالية الموجهة نحو الطبيعة.

ومن خلال قراءة ديوان الشريف العقيلي وجد الباحث الكثير من صور الخيال البيئي، التي تظهر من خلالها مدى اهتمام الشاعر ببيئته، حيث يحمل من خلال شعره رسائل ضمنية مفادها أهمية المحافظة على تلك المنح الربانية التي أعطاها لنا، ويتكئ الشاعر في تجسيد هذا الحس على جملة من الأساليب البلاغية التي تحقق التكامل والتناغم مع الطبيعة، ويتضح ذلك في قوله([3]):

يـــا سَـــهلُ سَـــهَّلتَ عَيشـــي مِـــن بَعـــدِ مـــا كـــانَ وَعـــرا

أَمطَرتَـــــــهُ مَكرُمـــــــاتٍ كَسَـــــتهِ عُشـــــباً وَزَهـــــرا

فَصـــــارَ بِالخِصـــــبِ رَوضـــــاً وَكـــــانَ بِالمَحـــــلِ قَفـــــرا

([1])- جيليكا توشيتش: النقد البيئي- دراسة في الأدب والبيئة، ترجمة: سناء عبدالعزيز، مجلة فصول في النقد الأدبي، مجلة محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج(٢٦/٢)، ع(١٠٢)، ٢٠١٨م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/97771 ، ص٣٣١

([2]) - هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، مرجع سابق، ص٤٦٣

([3]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٦٢

وَجُـــــدتَ بِـــــالرِيِّ حَتّـــــى يَخالُـــــكَ البَحـــــرُ بَحـــــرا
وَفـــــي جِنانِـــــكَ أَمســـــى هِـــــلالُ عِـــــزِّيَ بَـــــدرا
وَصـــــارَ طَعـــــمُ حَيـــــاتي حُلـــــواً وَمـــــا زالَ مُـــــرّاً
وَكُنـــــتُ لِلهَـــــمِّ عَبـــــداً فَـــــاليَومَ أَصـــــبَحتُ حُـــــرّا

ومن يمعن النظر في هذه الأبيات يلحظ أن الشاعر يستخدم الصور البلاغية لكي يخدم توجهه البيئي، فينثر من خياله مما يحعل القارئ متماهيا مع البيئة الطبيعية، فيجعل الشاعر ممدوحه لا يعطي العطايا، ولكنه يمطر، كما يجعله أيضًا لا يمنح مالًا، ولا يكسو ملابس، ولا يهب الجواري والعبيد، ولكنه يكسو عشبًا ويمنح وردًا وزهرا، حتى يصبح عيشه سهلا وحياته روضًا يجري فيها، وكل هذا عن طريق التخييل البيئي، وهذا يدل على أن الشاعر على دراية تامة بأهمية البيئة فيجعل الممدوح يمنح الورد والزهور حتى يبث أهمية البيئة في نفوس الأخرين، وهذا ينم عن إدراكه المبكر لأهمية الطبيعة، كما ينم أيضا عن وعي بيئي متقدم، وهذا يتضح أيضًا عندما يرى ممدوحه بحرًا متدفقًا ليصل إلى أعلى مرتبة حين يصير هلال عزه بدرًا، كما نجد أن المكرمات التي تنزل مع مطر الممدوح، تنبت وتتضح لتلبس حياة الشاعر ملبسًا من الورد والزهر والعشب، فلذلك كانت علاقة الممدوح بالبيئة علاقة تجاوب واندماج، وهذه الصور المتخيلة تشعر المتلقي بعظمة البيئة، وأهمية المحافظة عليها.

ويحاول الشاعر توظيف الخيال البيئي توظيفًا ينم عن وعيه البيئي؛ فنجده يستخدم عناصر البيئة عدسة لشعره في وصف الأشياء، على نحو قوله([1]):

وَذي حُلَّـــةٍ مِـــن نَســـيجِ الزَمـــانِ يُضـــــاحِكُ أَحمَرُهـــــا الأَصـــــفَرا
يُـــؤانِسُ مَـــن ظَـــلَّ مُستَوحِشـــاً إِذا اِختَلَسَ الصَـــحوُ مِنـــهُ الكَـــرى
وَيَـــدعو إِلـــى القَصـــفِ أَربابَـــهُ بِأَحسَـــنِ صَـــوتٍ إِذا كَـــرَّرا

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٦٥

وَيَجلـــو عَلـــى أَهلِـــهِ نَفسَـــهُ بِتـــاجِ عَقيـــقٍ عَلَيـــهِ يُـــرى
فَأَمّـــا الشُـــنوفُ لَـــدى أُذنِـــهِ إِذا اِهتَـــزَّ فـــي مَشـــيِهِ أَو جَـــرى
وَهَـــل هُـــوَ إِلّا العَـــروسُ الَّتـــي تَقَلَّـــدَتِ الحَلـــى وَالجَـــوهَرا
أَو الـــرَوضُ بـــاكَرَهُ وابِـــلٌ فَأَلبَسَـــتهُ الـــوَردَ وَالعَبهَـــرا([1])
كَـــأَنَّ الصَـــباحَ حَبيـــبٌ لَـــهُ إِذا غـــابَ أَســـهَرَهُ مُفكِـــرا
فَـــلا يَتَهَنّـــا بِأَلفاظِـــهِ إِلـــى أَن يُشـــاهِدَهُ مُســـفِرا

ومن يمعن النظر في هذا الخطاب الشعري يلحظ أن الشاعر يتعامل مع عناصر الطبيعة كأنها إنسان وهوط ما يعرف بأنسنة البيئة، ويتضح ذلك عندما يشبه الديك بروضة أصابها وابل، فيلبسه بحلة من الورد والزهور، ثم يونسن هذا الطائر ويشبه بالعروس التي تتلقد الحلي والجواهر وتتزين بها، كما يشبه الروضة التي تتزين بالورود الجميلة، حتى أن هذا الديك كان عاشقًا محبًا للصباح ، فإذا تأخر عنه أصابه السهر من عشقه لمجيء الصباح، فلا يهدأ له بال حتى يأتي الصباح، بيد أن الحس البيئي عند الشريف العقيلي وحرصه على المحافظة على تلك البيئة الجميلة، هي مَن جعلته يرسم هذه الصورة البيئة الخيالية مما حث خياله البيئي على تجسيد الديك كأنه عروس.

وعلى نحو قوله أيضًا([2]):

والرعـــد يشـــدو والثـــرى منـــتشٍ والســـحب تبكـــي والربـــى تشـــرب

فالشاعر في هذا البيت الشعري يعمد إلى الخيال البيئي حيث يشبه الرعد بأنه إنسان يغني، والثرى يشبهه بشخص تصيبه النشوة من ذلك المطر النازل عليه، كما اتجه إلى أنسنة السحب حيث جعلها تبكي وتذرف دموعها على الربى التي تشربها، حيث جعل السحب والرعد تمتلك مشاعرًا فتبكي، وهي صورة متخيلة باعثها حرص

([1]) – العبهر: هو النرجس، وقيل هو نبت، ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٣٦
([2]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٥٨

الشاعر وحسه البيئي المرهف. فالشريف العقيلي يستخدم الطبيعة ككائن حي له مشاعر وحضور مستقل، كوسيلة للتعبير عن حالته النفسية.

كما يُظهر الخيال البيئي في شعر الشريف العقيلي وعيه الجمالي والوجداني، كما ساعد هذا الخيال على إثراء تجربته الشعرية وربطها بالبعد الروحي، حيث ربط بين المشاهد الطبيعية وبين قدرة اله في خلق الكون مما جعلها أكثر إحساسا وحيوية، على نحو قوله أيضًا([1]):

والْـوَرْدُ مَـا بَـيْن أَنَهـارٍ مُدَرجـةٍ كَأنــهُ شَــفَقٌ مــن حَوْلِــه حُبُــكُ

ونلحظ أن الشريف العقيلي في هذا البيت الشعري ينسج لنا صورة شعرية تتميز بالخيال الإيكولوجي، حيث يظهر فيها جمال الورد وحسنه، وروعة منظره، وشدة حمرته، وذلك يكون بين فوق مياه الأنهار، ويتضح الخيال البيئي من خلال التشبيه التمثيلي في هذا البيت، وذلك عندما شبّه الشريف العقيلي الورد المعروف بلونه الأحمر وهو بين الأنهار التي فوق بعضها البعض، مع بياض مياه الأنهار، بالشفق الذي يكون حوله طرائق النجوم، فالشاعر هنا جمع بين عناصر الطبيعة الأرضية (الورد– الأنهار) وعناصر الطبيعة السماوية (الشفق– الحبك).

كما أظهر الشريف العقيلي وعيًا بأن الطبيعة ليست مجرد ديكور، بل هي نظام متكامل يحب الحفاظ عليه، على نحو قوله([2]):

كَـأَنَّ البَهَـارَ الغـضَّ فِيهَـا مَـدَاهِن مِنَ التِبرِ صِبْغَتْ في غُضُونِ زَبَرجَدِ

كَـأَنَّ انتِشَـارَ القَطـرِ والزَّهْـرُ زاهِـرٌ عَلـى الـوَردِ، دَمـعٌ فـوق خـدٍ مُـوَردِ

وَتُزْهــى بِمَنتثُــورٍ يلــوحُ كَجَــوهَرٍ علــى نمَــطٍ بــينَ الريــاضِ مُبَــدَّدِ

فنلحظ ان الشاعر يستخدم الخيال الإيكولوجي من خلال تصوير الطبيعة وعناصرها، حيث شبه الشريف العقيلي زهور البهار النضرة بأنها أوان مملوءة بمادة

([1]) – نفسه ، ص٢٣١

([2]) - الشريف العقيلي، الديوان، ص ١١٤

ثمنية، مما يمنحها بريقًا ولمعانًا خاصًا، ثم يواصل التصوير فيجعل لون هذه الأزهار كأنها مصبوغة بالذهب(التبر)، ومحاطة بثنايا من الزبرجد (الأخضر اللامع) مما يجمع بين لونين (الذهبي والأخضر) ليعكس صورة بصرية غنية وحيوية، والتشبيه هنا حسي مركب، ووجه الشبه هو الشكل واللون، وهي صورة أنيقة لا وجود لها إلا في الخيال، كما يشبه الشاعر شكل قطرات المطر بدموع فوق خدود موردة وهو تشبيه مقلوب، ويهدف الشاعر من خلاله المبالغة في القول، وذلك أن وجه الشبه في المشبه به أكثر بهاءً من المشبه، كما يستمر الشاعر في استخدام خياله البيئي حينما يشخص في البيت الثالث روضته فجعلها مثل العروس التي تتباهى بما عليها من زينة وجمال، حيث شبّه انتشار الزهر المنثور(وهي نبات معروف بعطره الزكي وجمال ألوانه) بجواهر لامعة، مما يعكس بريقها وتألقها في الطبيعة، وهو تشبيه يعزز قيمة النباتات كعناصر قيمة، كما يجمع الشاعر بين العناصر البيئية (النباتات– الضوء–الحدائق) ويمنحها بريقًا مميزًا مما يعكس تقديره للطبيعة، كما يشير إلى التوازن البيئي وجمال التنوع الطبيعي حيث تتناثر الأزهار بحرية لتشكل منظومة بيئية متناسقة، وفي خلال هذا الخطاب الشعري يعتمد الشاعر على التشبيه والاستعارة المستمدة من البيئة الطبيعية، حيث يستلهم ألوان الزهور والنباتات، ويعطيها صفات معدنية ثمنية ليبرز جمالها وتألقها، كما يوحي هذا التصوير بعلاقة متجانسة بين الطبيعة والحياة الإنسانية، كما تحمل الأبيات دعوة ضمنية للحفاظ على هذا الجمال الطبيعي مما يتماشى مع الفكر الإيكولوجي الذي يدعو إلى الانسجام مع البيئة وحمايتها.

وقد يوظف الشاعر الخيال لخلق صورة مؤثرة لبيئة متدهورة، مما يثير العاطفة نحو أهمية الحفاظ عليها، واستعادة التوازن الطبيعي، على نحو قوله أيضا([1]):

لَا تَـدَعْ رَوضَـةَ الإغضَـاءِ عَاطَلَـةً لَا دَوَحـةٌ لِلرضَـا فِيهـا ولَا غُصُـنُ

([1]) – نفسه، ص٢٨٠

نلحظ في هذا البيت الشعري أن الشاعر اعتمد على الخيال البيئي (التصوير والاستعارة) لإبراز الجمال الطبيعي المفقود، كما يجسد مشهدًا طبيعيًّا يوحي بفقدان حيوية البيئة، مستخدمًا صورًا مجازية قوية توحي بالحزن على البيئة، حيث استخدم صورة (رَوضَة الإغضَاءِ) وهي مشهد طبيعي يرمز إلى المساحات الخضراء، فجعلها عاطلة أي بلا حياة أو نشاط، حيث جعل الأرض وكأنها كائن حي فقد وظيفته، مما يوحي بالتصحر أو الإهمال البيئي، ويستخدم الشاعر عبارة (دَوَحةٌ لِلرضَا) للتعبير المجازي الذي يربط بين الأشجار والراحة النفسية، وكأن الرضا ينبت كالأشجار، كما يشير في تعبيره (لا غصن) إلى الخواء، وكأن الطبيعة تحزن لفقدانها الحياة.

ويستنتج الباحث مما سبق:

- يعدُّ الخيال الإيكولوجي عنصرًا من عناصر الأدب الإيكولوجي، فهو توظيف الصور الشعرية المستمدة من الطبيعة والبيئة لخلق تأثير جمالي ومعنوي في النص الشعري، ويتجاوز الوصف السطحي ليعبر عن مشاعر إنسانية أو قضايا بيئية، يهدف من خلالها المحافظة على البيئة والاهتمام بها.
- استطاع الشريف العقيلي أن يوظف الخيال الإيكولوجي في شعره ليخلق صورًا تجمع بين الجمال الحسي والمعنى الدقيق، ويتضح ذلك من خلال توظيفه للطبيعة وعناصرها بطريقة حية ومؤثرة، ومن ملامحه: وصف الطبيعة كعنصر محوري، والتفاعل بين الإنسان والطبيعة، والرمزية البيئية، والتوازن البيئي، وأهمية المحافظة على البيئة والحرص على مكوناتها.
- يتجلى الخيال الإيكولوجي في شعر الشريف العقيلي بوصفه أداة فنية وجمالية ووجدانية، يُفعّل من خلالها الشاعر علاقته العميقة بالطبيعة، لا بوصفها خلفية صامتة، بل ككائن حي ينبض بالحياة والمشاعر. ومن خلال استعاراته وتشبيهاته المرهفة، وأنسنته للعناصر البيئية، يبث العقيلي وعياً مبكراً بضرورة صون الطبيعة،

ويكرّس رؤية شعرية تجعل من البيئة مرآةً للذات الإنسانية، ومجالاً لتجليات العطاء والجمال والروحانية. فالخيال البيئي لديه لا ينحصر في تصوير الطبيعة بل يتعدّاه إلى خلق خطاب شعري أخلاقي يدعو إلى التفاعل الإيجابي مع الكون، مما يضع تجربته ضمن مسار شعري بيئي رائد ومتفرد في أدبيات الشعر العربي القديم.

ثالثًا: التناص الإيكولوجي:

تعددت تعريفات التناص لدى النقاد المحدثيين، إذ يعدُّ التناص عند (كرستيفا) أحد مميزات النص الأساسية التي تحيل على نصوص أخرى سابقة عنها، ويصل (فوكو) إلى أنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرًا آخر، فلابد أن تتوفر أحداث متسلسلة متتابعة تتصل معًا"([1])، وقد عرَّفه (سعيد يقطين) بأنه هو" نتاج لبنى نصية سابقة يتعانق معها ويتفاعل فيها تحويلًا أو تضمنيًّا أو خرقًا"([2])، كما عرّفه (محمد مفتاح) بأنه" تداخل النصوص، بمعنى أن يتضمن نص ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة إليه، أو ما شابه ذلك المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندرج هذه النصوص مع النص الأصلي ليتشكل نص جديد متكامل" ([3]). أمَّا مصطلح التناص البيئي فهو مصطلح يعني نقل مفهوم التناص إلى مستوى البيئة، ويُراد به أن المبدع يلجأ إلى استيراد مجموعة من النصوص، التي تحتفي بالبيئة والطبيعة في عمله الأدبي، فيمزج بذلك بين نصين أحدهما بيئي والآخر غير بيئي، ويذهب النقد البيئي إلى تبني الرؤية التناصية التي تموضع القيمة في الكليات الطبيعية وفي العلاقات التبادلية التي تشكلها على غرار ما فعل، فإذا كان

([1]) – ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م، ص٢١٥

([2]) - سعيد يقطين، افتتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٩م، ص٩٨

([3]) – محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، المغرب ، ط٣، ١٩٩٢م، ص١١٩ وما بعدها.

النص الأدبي يحفل بتداخل عدد من النصوص فإن البيئة تتداخل فيها العناصر المختلفة حيث لا قيمة لعنصر من عناصرها مستقلا عن العناصر الأخرى ([1]) وهذا يعني أن التناص البيئي هو أحد أنواع التناص الأدبي، ولكنه ينتج من خلال تفاعل النصوص الشعرية مع العناصر البيئية، مثل؛ الطبيعة، والصحاري، والنباتات، والأنهار... إلخ بحيث تصبح هذه العناصر جزءًا من التعبير العاطفي والفكري للنص.

ومن خلال تصفح ديوان الشريف العقيلي نلحظ أن الشاعر استخدم التناص البيئي معبرًا بها عن مشاعره وأفكاره، من خلال استلهام صور الطبيعة من أشجار وأنهار ونباتات وحيوانات... إلخ واتضح هناك الكثير التناص الإيكولوجي في ديوانه الشعري ومنها: التناص مع الشعر العربي، ويظهر ذلك في قوله([2]):

اِشـرَب عَلـى زَهـرِ البَنَفسَـجِ قَهـوَةً تُهدي السُّرورَ إِلـى الحَزينِ المُكمَدِ

فَكَأَنَّـــهُ قَـــرصٌ بِخَـــدٍّ مُهَفهَـــفٍ أَو أَعـــيُنٌ زُرقٌ كُحِلـــنَ بِإِثمِـــدِ

من يمعن النظر في هذا الخطاب الشعري يلحظ أن هذا الخطاب يتناص مع الشعر العباسي والأندلسي في استخدام الطبيعة كعنصر جمالي ونفسي، ويعكس مفهومًا إيكولوجيًّا يتمثل في تأثير البيئة على الحالة النفسية، مما يجعله نموذجًا للشعر الذي يدمج بين الطبيعة والإنسان في تجربة وجدانية متكاملة، فنجد البنفسج يرمز في الشعر العربي إلى الرقة والجمال، كما أنه عنصر بيئي يستخدم لتوصيف مشاهد البهجة والصفاء، وهذا ما نجده في قول ابن المعتز ([3]):

كَأنمـــا البَنَفسَـــجُ الغَـــضُّ حكَـــى قَرْصَ مُحِبٍ فـي الخُدُودِ قَد ظَهَرَ

([1])- ينظر: هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور، ص٤٦٤، عبدالحميد أحمد الحسامي، الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، مجلة علامات في النقد الأدبي، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة ص١٦٠

([2]) - الشريف العقيلي، الديوان، ص١٠٨

([3]) – أبي العباس: عبدالله بن محمد المعتز بالله، ديوان أشعار الأمير أبي العباس، تحقيق: د. محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م، ٣٦٩/١

ونلحظ أن كلا البيتين يعكس رؤية إيكولوجية للعلاقة بين الإنسان والطبيعة، حيث لا يتم تقديم النباتات كائنات مستقلة، وإنما بوصفها مصدرًا للمتعة والتأثير النفسي، حيث استخدم ابن المعتز صورة البنفسج لإبراز العاطفة والرومانسية، إذ يربطها بالحبيب والخدود المتوردة، وبالتالي يجعله رمزًا للجمال والرقة، في حين يدمج الشريف العقيلي البنفسج مع القهوة ليخلق جوًا من الفرح والراحة النفسية، حيث تصبح الطبيعة لتخفيف الهموم، كما تبرز التفاعل بين الإنسان والطبيعة في تجربة شعرية عميقة تعكس البعد الإيكولوجي للحياة.

كما يتناص قول الشريف العقيلي مع الشاعر الأندلسي ابن خفاجة([1]):

فكأنَّــه، والمــاءُ يضــحكُ فوقَــه جـذلان، يبكــي للسُّـرورِ ويَضــحَك

ويعكس هذا البيت تناصًا إيكولوجيًا واضحًا، حيث يوظف الشعر فكرة تفاعل الطبيعة مع المشاعر الإنسانية، مما يرسّخ مفهوم البيئة الحيّة المتكاملة، التي تؤثر في الإنسان وتتأثر به. هذا التناص يعزز فهمنا للأدب البيئي العربي من زاوية تجمع بين الروحانية، الفلسفة، والطبيعة، كما يصور مشهدًا طبيعيًا مفعمًا بالحياة، حيث يتجسد الماء وكأنه كائن حي، يضحك ويبكي في آنٍ واحد. يمكن تحليل التناص الإيكولوجي في هذا البيت من خلال عدة جوانب: أولها: يضفي الشاعر صفة الإنسانية على الطبيعة، إذ يجعل الماء يضحك ويبكي، مما يعكس فكرة التواصل العاطفي بين الإنسان والبيئة، وهي من ركائز الأدب الإيكولوجي، كما يوحي الضحك والبكاء بتقلبات الطبيعة، وكأنها كائن يتفاعل مع الوجود، مما يعزز مفهوم وحدة الإنسان مع محيطه البيئي، كما يستدعي الفكر الصوفي الذي يرى في الطبيعة تجليًا روحانيًا، حيث ينعكس الفرح والحزن في الماء كتعبير عن التوازن الكوني. والماء هنا ليس مجرد عنصر طبيعي، بل هو كائن حي يشعر ويفرح ويحزن، مما يعكس رؤية بيئية ترى الطبيعة

([1]) - ابن خفاجة الأندلسي، الديوان، تحقيق: عبد الله سندة، ط١، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٦، ص٢٣٢.

كشريك للإنسان وليس مجرد مورد مادي. وهذه النظرة تنتقد الرؤية الاستهلاكية التي تعامل الطبيعة كمجرد مورد للاستغلال، وتعزز احترام البيئة بوصفها كيانًا مستقلًا بذاته.

ومن التناص الشعري أيضًا قول الشريف العقيلي قوله([1]):

أَمـــــا تَـــــرى الزُهـــــرَةَ وَال هِـــــلالَ جـــــاءا بِالعَجَـــــب

تُضـــــــيءُ هاتيـــــــكَ وَذا بَـــــينَ النُجـــــومِ يَلتَهِـــــب

كَـــــأُكرَةٍ مِـــــن فَضَّـــــةٍ وَصَـــــولَجانٍ مِـــــن ذَهَـــــب

ونجد هذا القول الشعري يتناص شعريا مع قول أبي الفضل الميكالي([2]):

أمـا تـرَى الزُّهْـرةَ قـد لاحَـتْ لَنَـا تَحْـتَ هِـلالٍ ضَـوؤهُ يَحْكِـي اللَّهَـبْ

كَكُـــرةِ مجْلَـــوَّة مـــن فِضَّـــةٍ أوْفَـى عَليهـا صـولجانٌ مِـن ذَهَـبْ

ويتمثل التناص الإيكولوجي هنا في استلهام المشهد الطبيعي الكوني وتوظيفه في الشعر، مما يدل على إدراك الشاعرين لجماليات الفضاء وربطها بتصورات حسية تجمع بين الفخامة والجمال السماوي، كما يظهر التناص الإيكولوجي تشابه الصور الشعرية التي تعتمد على عناصر الطبيعة والكون، مثل الزهرة والهلال، إضافة إلى الألوان والمواد النفسية كالذهب والفضة، ومن أوجه التناص الإيكولوجي: التشابه في الموضوع والصورة؛ فكلا الشاعرين يستخدم صورة الهلال المتوهج بجانب كوكب الزهرة مما يعطي إحساسا بالجمال البيئي/ السماوي، والتشابه في العناصر المادية والطبيعية؛ فكلاهما استخدم الفضة لتشبيه كوكب الزهرة والذهب لتشبيه الهلال مما يضفي على المشهد بريقًا ولمعانًا فريدًا، كما أن التشبيهات تجعل القارئ يتخيل المشهد كأنه لوحة

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص٥٥

([2]) – خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ١٩١/٤

فنية متحركة، حيث يضيء كوكب الزهرة مثل كرة فضية، بينما يظهر الهلال كصولجان ذهبي مشتعل، فهذا إيحاء بالجمال المأخوذ من الطبيعة.

كما نجد التناص الإيكولوجي أيضًا في قوله ([1]):

اِشـرَب عَلـى حُسـنِ الثُرَيّـا قَهـوَةً أَحلـى وَأَطيَـبَ مِـن تَلَطُّـفِ مُعرِضِ

فَكَأَنَّهـا لَمّـا تَبَـدَّت فـي الـدُجى شَـمّامَةٌ مِـن ياسَـمينٍ أَبـيَضِ

ويتناص شعريا مع قول الشاعر أبي قيس بن الأسلت، حيث يقول([2]):

قد لاحَ في الصُبحِ الثُّرَيا لِمنْ رَأى كعُنْقُـودِ مُلاحِيـةٍ حِـيْن نـورَا

ونلحظ أن التناص الإيكولوجي في البيتين يظهر في كلمة (الثريا) بوصفها مجموعة نجمية مضيئة في السماء، ففي كلا النموذجين يتم التركيز عليها (الثريا) على أنها عنصر جمالي، يشبه عناصر طبيعية أرضية، مما يدل على التفاعل الإيكولوجي بين السماء والأرض، فالشريف العقيلي يشبه الثريا وحسنها بهيئة فروع نبات (الشمَّامة) مما يربط بين الضوء السماوي والعطر الأبيض الفواح، وهو توظيف إيكولوجي يجمع بين البصر والشم، كما يشبه أبي قيس بن الأسلت الثريا بعنقود من العنب، وكأن النجوم حبات عنب مضيئة في السماء، مما يعكس رؤية إيكولوجية تقوم على الربط بين الطبيعة والكون، وهذا الربط يعزز فكرة الانسجام الكوني بين السماء والأرض، مما يعكس نظرة شاعرية تُرى في الطبيعة والكون وحدة متكاملة من الجمال والضياء، وهو مفهموم متكرر في الشعر العربي القديم.

ومهما يكن من قول، تتجلّى مكانة الشريف العقيلي في الشعر الإيكولوجي من خلال ثلاثة أبعاد متكاملة:

([1]) – الشريف العقيلي، الديوان، ص١٩٢

([2]) – أبي قيس بن الأسلت الجاهلي، الديوان، تحقيق: د.حسن محمد باجودة، مكتبة دار التراث بالقاهرة،١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م ص٧٣

- **الإبداع اللغوي الإيكولوجي كمنظومة متكاملة:**

لم يكتفِ العقيلي بجمع مفردات الطبيعة في معجمه الشعري، بل بنى منهاجًا لغويًا يعكس ديناميكية البيئة وتغيّراتها. فالألفاظ من "الرعد" و"البرق" إلى "الأزهار" و"الأنهار"—لا تأتي معزولة، بل تتلاحم في سياق يحاكي تدفّق الماء وتراقص أوراق الشجر. هذا السياق يضفي على النص نبضًا داخليًّا، بحيث يصبح لكل كلمة وظيفة جمالية ووظيفة حركية، فتتشابك الأصوات والإيقاعات وتدعم الصورة الشعرية وتثريها. بذلك، يتجاوز معجم العقيلي حدود الوصف السطحي ليكون أداة تشكيلية تصوغ للمكان روحًا وحضورًا حيًّا.

- **الخيال الإيكولوجي كإحياء للكون الشعري:**

وظّف العقيلي خياله البيئي ليحوّل الطبيعة إلى كائنات تشارك الشاعر مشاعره: غيوم "تبكي"، وزهور "تضحك"، وشمس "تسفر أحيانًا وتنتقب". هذا الأسلوب لا يكتفي بتشخيص عناصر الطبيعة، بل يمنحها صوتًا وحركة، ويعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والبيئة كعلاقة وجدانية متبادلة. ففي هذا الإطار، يصبح القارئ شريكًا في المشهد، يتلمّس ندى العشب ويشمّ عبق الأزهار، إنما يختبر انقباضات قلب الأرض ونبضاتها. إنّ الخيال الإيكولوجي هنا ليس ترفًا بل فعلُ إحياءٍ شعريٍّ يعيد الطبيعة إلى ذاكرتنا الجماعية ككيان حيّ يحتاج صونًا وتقديرًا.

- **التناص البيئي جسر بين التراث والحاضر:**

من خلال إشاراته إلى ابن المعتز وابن خفاجة وأبي الفضل الميكالي وأبي قيس بن الأسلت، أسس العقيلي لنوع من التناصّ الإيكولوجي الذي يربط بين الشعر العربي الكلاسيكي وفلسفة الحفاظ على الطبيعة. ليست الاقتباسات مجرد تقليد، بل تحويلٌ شعريٌّ يجعل من البيئة خيطًا موصولًا بين قرون من الإبداع. هذا التناصّ يثري

القصيدة بدفء التاريخ ويعطيها بعدًا أخلاقيًّا؛ إذ يعيد صياغة التراث البيئي ليكون حاضرًا في خطاب يحثّ على العناية بالأرض.

وأخيرًا لقد صاغ الشريف العقيلي قصائده كمرآةٍ تعكس روح الطبيعة وجوهر الإنسان في آنٍ واحد، فكان شعره فعلُ تضامنٍ وجداني مع البيئة. إنّه يقدّم نموذجًا شعريًّا أخلاقيًّا، يحثّنا على استعادة تلك العلاقة الأصيلة مع الأرض، ويؤكد أنّ الشعر—بعنوانه الجمالي ورسائله البيئية—قادر على بناء وعيٍّ متجددٍ تجاه كوكبنا.

الخاتمة

وبعد رحلتي الشيقة في دراسة موضوع (الطبيعة بوصفها ذاتا: قراءة إيكولوجية في شعر الشريف العقيلي (ت ٤٥٠هـ)) توصلت إلى عدد من النتائج المهمة التي تسلط الضوء على العلاقة الوثيقة بين الشعر والبيئة في العصر الفاطمي، ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج فيما يلي:

- إنَّ الأدب الإيكولوجي هو: دراسة وجود البيئة داخل النصوص الأدبية، أو العلاقة بين الشاعر والبيئة، من حيث كون الشاعر يحمل همًّا بيئيًّا، حيث يعرض من خلالها إحساس المبدع بالبيئة، كما أثبت الأدب الإيكولوجي أن الأدب ليس مجرد انعكاس للحياة الإنسانية فقط، وإنما هو وسيط يعكس العلاقة بين الإنسان والطبيعة، حيث تشارك النصوص الأدبية في تشكيل تصورات المجتمع حول البيئة والمناخ والتغيرات الطبيعية.
- يؤدي الأدب الإيكولوجي دورًا مهمًا في تعزيز القيم البيئية من خلال كشف تأثير الأدب في نشر الوعي البيئي، والتحذير من الممارسات الضارة بالطبيعة، مما يجعله أداة مهمة في تعزيز الاستدامة البيئية، كما يتيح إمكانية قراءة النصوص الأدبية من منظور جديد، يكشف عن ارتباطها بالسياقات البيئية، مما يضيف بعدًا تحليليًّا جديدًا للأدب.

- إنَّ شعر الشريف العقيلي يوجد به الكثير من تشكلات البيئة وأشكال التبيؤ الشعري وعناصر التوجه البيئي التي منها: الحضور البيئي في شعره وذلك من خلال الاستعانة بالصور البيئية للتعبير عن المشاعر الإنسانية، والبعد البيئي في الرؤية الجمالية الذي يعتمد على التصوير البيئي، مما أضفى على نصوصه طابعًا فنيًّا مميزًا يعكس الحس الجمالي في تفاعله مع الطبيعة، ورفع الوعي البيئي لدى الناس عن طريق شعره، والألفة بين الإنسان والطبيعة، والمسؤولية الأخلاقية تجاه البيئة، ومركزية البيئة والعودة إلى الطبيعة النقية، ونبذ التمركز الإنساني، كما أن عناصر البيئة كان لها أثر واضح في تشكيل شخصية الشاعر وفكره، من خلال معرفة الدلالات المرتبطة بالبيئة بوصفها بنية دالة.
- لم يكن حضور البيئة في شعر الشريف العقيلي مجرد وصف خارجي، وإنما حمل أبعادًا فلسفية تعكس رؤيته للحياة، إذ وظف الطبيعة للتعبير عن تأملاته في الوجود والزمن، كما استخدم عناصر الطبيعة بوصفها رموزًا دالة على القيم الأخلاقية والاجتماعية، حيث استلهم من البيئة صورًا تعبيرية تجسد معاني القوة، والضعف، والتغير، والاستقرار.
- يعدّ الشعر العربي مرآةً تعكس طبيعة العلاقة بين الإنسان وبيئته، حيث يتجلى ذلك في تصوير الطبيعة واستلهام عناصرها، وإبراز القيم البيئية من منظور أدبي وفلسفي. ومن بين الشعراء الذين وظّفوا الطبيعة بعمق في قصائدهم، يأتي الشريف العقيلي، التي شكّلت البيئة مكونًا أساسيًا في شعره. فقد عبّر عن علاقة الألفة بين الإنسان والطبيعة، وأبرز مفهوم "انسنة الطبيعية"، وسلّط الضوء على فكرة الاستدامة البيئية، مما يجعل دراسته من منظور بيئي إضافة مهمّة للنقد الأدبي البيئي.

- تعد العلاقة بين الإنسان والبيئة محورًا أساسيًا في شعر الشريف العقيلي، حيث تظهر الطبيعة بوصفها كائنًا حيًا يتفاعل معه الإنسان. ففي أشعاره نجد صورًا تعكس حب الطبيعة والاندماج معها، كما يستحضر عناصرها ليجعلها جزءًا من المشاعر الإنسانية. وتتجلى هذه الألفة في استخدامه للرياح، والأمطار، والأشجار، والحيوانات كوحدات تعبيرية تعكس التوازن بين الإنسان والطبيعة. ويستخدم العقيلي الطبيعة كوسيط شعري للتعبير عن الوجدان البشري، حيث تتناغم الصور البيئية مع العواطف الإنسانية، ما يعكس رؤية تقوم على التناغم بين الكائنات الحية ومحيطها الطبيعي.
- تُعَدُّ أنسنة الطبيعة من الظواهر الأدبية البارزة في الشعر العربي، حيث يسعى الشاعر إلى منح الطبيعة صفات إنسانية، مما يعزز التفاعل بين الإنسان والبيئة المحيطة به. وتبرز في شعر الشريف العقيلي نزعة بيئية واضحة من خلال أنسنة الطبيعة، حيث تصبح عناصرها كائنات حية تتفاعل مع الإنسان وتشاركه مشاعره وأحواله، وفي كثير من قصائده، يتحدث عن الرياح ككائنات ذات مشاعر، فهي تغضب وتهدأ، وتفرح وتحزن، والماء يُصوَّر وكأنه يبكي أو يضحك، حسب الحالة العاطفية للموقف، والأشجار تتمايل كأنها ترقص أو تنحني احترامًا، مما يعكس تفاعلًا حيًا بينها وبين الشاعر. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن شعره يعكس حسًا بيئيًا متقدمًا يعزز فكرة التعايش بين الإنسان والطبيعة، وهي رؤية تتلاقى مع الدعوات الحديثة لحماية البيئة وإعادة التوازن بين الإنسان والعالم الطبيعي.
- يتناول الشريف العقيلي في بعض نصوصه فكرة الاستدامة البيئية من خلال تصوير الطبيعة بوصفها مصدرًا للحياة يجب الحفاظ عليه. فهو لا يصف جمال الطبيعة فحسب، وإنماد يشير إلى أثر الزمن والتغيرات البيئية، مما يعكس وعيًا بيئيًا بقيمة الطبيعة وأهمية المحافظة عليها، كما يوظف في شعره صورًا تعبر عن

استمرارية الطبيعة، مما يوحي بفكرة الاستدامة البيئية التي تنادي بضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية. فقصائده تشكل نموذجًا أدبيًا يعزز فكرة التوازن البيئي والاستفادة من الطبيعة دون الإضرار بها، وهو ما يتوافق مع المبادئ البيئية الحديثة التي تدعو إلى التنمية المستدامة.

- أخلاقيات البيئة هي مجموعة من المبادئ التي تحثّ على احترام الطبيعة، وعدم استنزاف مواردها، والتفاعل الإيجابي معها في الأدب، تعكس هذه الأخلاقيات الوعي البيئي من خلال تصوير الطبيعة كشريك في الحياة، وليس مجرد كيان جامد يمكن استغلاله دون تفكير، ويظهر في شعر الشريف العقيلي احترام كبير للطبيعة بوصفها جزءًا من حياة الإنسان، حيث يتحدث عنها ككائن حي يستحق التقدير، وفي قصائده، تبدو الأشجار، المياه، والرياح عناصر تستحق الحماية، مما يعكس دعوة ضمنية للحفاظ عليها.
- ومن خلال مطالعة معجم الشريف العقيلي الإيكولوجي نجده يمثل جانبًا مميزًا من إبداعه الشعري، حيث استطاع أن يوظف جمال اللغة وقوة الأسلوب في تصوير مشاهد الطبيعة بأسلوب يجمع بين الدقة الفنية والبلاغة الشعرية، كما استخدم الشريف العقيلي لغة غنية بالتفاصيل الدقيقة التي تجعل القارئ وكأنه يشاهد المشهد بنفسه، كما لجأ إلى استخدام ألفاظ تتسم بالرقة والنعومة والسهولة والوضوح؛ لتناسب موضوع الطبيعة مبتعدًا عن الجزالة المفرطة. كما أنَّ المعجم الإيكولوجي عند الشاعر غني ومتعدد الأبعاد، حيث استخدم مفردات الطبيعة أداة للتعبير عن الجمال، والتحولات النفسية، تمكن من تجسيد الطبيعة في شعره بطريقة تعكس وعيًّا بيئيًّا وإحساسًا جماليا عميقًا.
- استطاع الشريف العقيلي أن يوظف الخيال الإيكولوجي في شعره ليخلق صورًا تجمع بين الجمال الحسي والمعنى الدقيق، ويتضح ذلك من خلال توظيفه للطبيعة

وعناصرها بطريقة حية ومؤثرة، ومن ملامحه: وصف الطبيعة كعنصر محوري، والتفاعل بين الإنسان والطبيعة، والرمزية البيئية، والتوازن البيئي، وأهمية المحافظة على البيئة والحرص على مكوناتها.

وبعد تحليل شعر الشريف العقيلي من منظور إيكولوجي، يمكن تقديم التوصيات الآتية لتعميق الدراسة والبحث في هذا المجال:

- التوسع في دراسة البعد البيئي في الشعر العربي القديم.
- دراسة التفاعل بين الإنسان والطبيعة في شعر الشريف العقيلي ومقارنته بشعراء آخرين من الفترة نفسها.
- تحليل كيفية تأثير البيئة المحلية على الصور الشعرية والمفردات المستخدمة في شعره.
- تطبيق المناهج البيئية الحديثة في تحليل شعره.
- استكشاف أثر التحولات البيئية على شعر الشريف العقيلي.
- دراسة تأثير التغيرات البيئية والمناخية في ذلك العصر على شعره.

ملحق المصطلحات البحثية المستخدمة في الدراسة.

- **التبيؤ الشعري:**

يرجع هذا المفهوم لغة إلى الجذر اللغوي (بَوَأَ)، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور:"بوأ: باء إلى الشيء يبوء بوءًا: رجع وبؤت إليه وأبأتْهُ مثل الباعة... باء كفي: أي صار كفي له مَباءة أي مرجعًا، وباء بذنبه وإثمه يبوء بَوْءًا وبَواء: احتمله وصار المذنب مأوى الذنب... وأبأتُ بالمكان: أقمت به وبوَّأتك بيتًا: اتخذت لك بيتا"([1])، تشير بعض الدراسات إلى أن هذا المصطلح قد ظهر لأول مرة في الدوائر العلمية الإنجليزية في أواخر القرن التاسع عشر، ليدل على مجموع الظروف الخارجية والمؤثرة في نمو الكائنات، كما استخدم للدلالة على الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي"([2])، وترى (رجاء وحيد دويدري) أن مصطلح التبيؤ يشمل عناصر البيئة من ماء وهواء وتربة ونبات وحيوان، وعلاقة كل ذلك بالإنسان، وترى أن مفهوم البيئة كان نتيجة تضافر مجموعة علوم بيئية، درست العوامل المؤثرة في المحيط الحيوي، وأن الأيكولوجيا هي أحد العلوم التي تشكل أساس العلوم البيئية، بجانب العلوم الطبيعية والإنسانية([3]).

- **الوعي البيئي:**

يُعرَّف الوعي بأنه:" هو جملة من التصورات والأفكار المتنوعة التي تحصلها الذات بذاتها، وعن العالم الخارجي، الذي يجعلها في اتصال دائم معه... لأن الوعي دوما يقدم نفسه في شكل مفاهيم وصور، التي كلما زادت غوصًا في الأشياء زاد ابتعادها عن المحسوسات، واقتربت من المعقولات"([4]).

([1]) – ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٢٦٧

([2]) - رجاء وحيد دويدي، البيئة، مفهومها العلمي المعاصر وعمقها الفكري التراثي، مرجع سابق، ص٢٥

([3]) - نفسه، ص٢٧

([4]) – مونيس بخضرة، تاريخ الوعي (مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع)، مؤسسة راشد آل مكتوم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩، ص١٧

- **النسق البيئي:**

هو " آلية من آليات الهيمنة والتحكم في السلوكيات العامة، والممارسات الاجتماعية والعمليات النفسية"([1]) كما يعرف أيضًا:" بأنه ذو طبيعة سردية، يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر، وقادر على الاختفاء دائمًا، ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها قناع الجمالية اللغوية، وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة الوارقة، وتعبر العقول والأزمنة فاعلة ومؤثرة" ([2]).

- **المعادل الموضوعي:**

يعرفه الدكتور(بدوي طبانة) قائلا:"هو تصوير الشعور أو العاطفة من خلال مجموعة من الصور أو الأحداث أو المواقف التي توازي هذا الشعور وتُجسّده، بحيث تتيح للقارئ أن يُدرك العاطفة من خلال هذه العناصر الموضوعية دون أن تُقال مباشرة"([3]) ويذكر عز الدين إسماعيل أن المعادل الموضوعي هو "تقنية نقدية تقوم على استبدال التعبير المباشر عن الانفعالات بتجسيد هذه الانفعالات من خلال سلسلة من الصور أو الأحداث التي تمثل المعادل الفني أو الموضوعي للعاطفة."([4])، ويقول الدكتور(محمد غنيمي هلال): هو "وسيلة فنية تهدف إلى ترجمة الانفعالات الداخلية إلى عناصر حسّية خارجية، بحيث تُعبر هذه العناصر عن الشعور دون الحاجة إلى الإفصاح المباشر عنه."([5]).

([1]) – نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود المتخيل العربي الوسيط) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م، ص١٠٢

([2]) - عبدالله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص٧٩

([3]) - في الأدب والنقد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٠٢

([4])- الاتجاهات الحديثة في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1971م، ص ١٧٨

([5]) - النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٥٩

- **اللاوعي:**

اللاوعي هو "مستودع الدوافع والرغبات المكبوتة، وهو الجانب من النفس الذي لا يصل إليه الوعي مباشرة، لكنه يؤثر في السلوك والمشاعر من وراء حجاب"([1]) كما أن "اللاوعي عند يونغ لا يقتصر على الرغبات المكبوتة، وإنما يتضمن خبرات إنسانية مشتركة ومتوارثة تُشكّل ما أسماه باللاوعي الجمعي"([2])

- المذهب الظاهري:

يقول الدكتور (إحسان عباس): "المذهب الظاهري تيار عقلي يعتمد على الالتزام الحرفي بظاهر النصوص، ويرفض الرأي والقياس، ويعود تأسيسه لداود الظاهري وتطوره على يد ابن حزم."([3])، ويذكر (جمال الدين القاسمي)"الظاهرية مذهب يتمسك بظاهر النصوص الشرعية، ولا يجيز التأويل إلا بدليل قطعي، وهم يحرمون القياس والاستحسان"([4])، وذهب (أحمد أمين) قائلا:" الظاهريون عرفوا بجمودهم على النص، فهم لا يجيزون إلا ما ورد به نص صريح من الكتاب أو السنة، ولا يقبلون القياس أو التعليل."([5]).

([1]) - زيغموند فرويد، ما وراء مبدأ اللذة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٨م، ص. ٤٥

([2]) - كارل غوستاف يونغ، الإنسان ورموزه، سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة: عبدالكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م ، ص ٨٩

([3]) - ابن حزم الأندلسي: حياته وفكره، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠، ص. ١٤٢.

([4]) - محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص. ٨٧.

([5]) - ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣، ج٣، ص. ٤٥.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصدر:

- الشريف العقيلي، الديوان، تحقيق: زكي المحاسني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- أحمد الخطيب، النظام البيئي والتلوث، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- أندرو هيود، مدخل إلى الأيدولوجيات السياسية، تر: محمد صفار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢م.
- إيان. ج. سيمونز، البيئة والإنسان عبر العصور، تر: السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع (٢٢٢)، يونيو ١٩٩٧م.
- إحسان عباس، ابن حزم الأندلسي: حياته وفكره، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠م.
- إيرين جيمس وأريك موريلا، مقدمة للنقد البيئي ونظرية السرد، النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، منشورات دار شهريار، البصرة، ط١، ٢٠٢١م.
- بدوي طبانة، في الأدب والنقد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢م.
- بول روبنس، وآخرون: البيئة والمجتمع مقدمة نقدية، تر: خالد مفتاح، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- بيبا مارلاند، النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، منشورات دار شهريار للنشر والتوزيع، البصرة، ط١، ٢٠٢١م.
- بييرجيرو، الأسلوبية، ترجمة : منذر عياشي، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط٢، ١٩٩٤م.

- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- ج بايرد كاليكوت، الأخلاق البيئية: ضمن كتاب مايكل زيمرمان (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية)، ترجمة: معين شفيق رومية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ٢٠٠٦م.
- جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- جرج جرارد، النقد البيئوي، ترجمة: عزيز صبحي جابر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ط١، ٢٠٠٩م.
- جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- جميل حمداوي، حسن إعراب، النقد البيئي أو الأيكولوجي في الأدب والفن، دار الريف للنشر والطبع الإلكتروني، المغرب، ط١، ٢٠٢٠م.
- جودة أمين، في الطبيعة والشعر، مكتبة أم القرى، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
- جون.ب. ديكنسون: العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث، ترجمة: شعبة الترجمة باليونسكو، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧م.
- حسين عبود حميد، تجليات الطبيعة في الشعر العراقي الحديث، دار الفنون والآداب، العراق، ط١، ٢٠٢١م.
- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ديفيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة: باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، ط١، ٢٠١٨م.
- رجاء وحيد دويدري، البيئة، مفهومها العلمي وعمقها الفكري التراثي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

- زيغموند فرويد، ما وراء مبدأ اللذة، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ٢٠٠٨م.
- ابن سعيد الأندلسي، المغرب في حلي المغرب، القسم الخاص بمصر، تحقيق: زكي محمد حسن، وشوقي ضيف، وسيدة كاشف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- السعيد الورقي، لغة الشعر الحديث، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٣م.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبرس، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.
- سعيد يقطين، افتتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٨٩م.
- شريل غلوفلتي، قراءات في النقد البيئي، ترجمة: إبراهيم محمود، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٩م.
- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (مصر)، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥م.
- عبدالحكم عبداللطيف، البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.
- عبدالرحمن طابع، في النقد البيئي: من النظرية إلى التطبيق، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م.
- عبدالله الغذامي، النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م.
- عز الدين إسماعيل، الاتجاهات الحديثة في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١م.
- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.

- عمانوئيل كانط، نقد العقل المجرد، ترجمة: أحمد الشيباني، دار اليقظة العربية، بيروت، ١٩٦٥م.
- فاطمة الزهراء محمد فوزي، النقد الأدبي البيئي، قراءة جديدة في الشعر القديم/ج١، دار الأدهم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٩م.
- أبو قيس بن الأسلت الجاهلي، الديوان، تحقيق: د.حسن محمد باجودة، مكتبة دار التراث بالقاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م.
- كارل غوستاف يونغ، الإنسان ورموزه، سيكولوجيا العقل الباطن، ترجمة: عبدالكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- كانط: العقل الصريح Laraison pure ، مطابع فرنسا الجامعية، باريس، ط١٢، ١٩٩٥م.
- عبدالرحمن طابع، في النقد البيئي: من النظرية إلى التطبيق، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٨م.
- لورانس بويل، الخيال البيئي: ثورو والكتابة عن الطبيعة وتكوين الثقافة الأمريكية، ترجمة : سعيد توفيق، الهيئة المصرية لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٥م، ص٣٣
- مايكل زيمرمان، الفلسفة البيئية، من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجية الجذرية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم (٣٣٢)، شهر أكتوبر ٢٠٠٦م.
- مجموعة مؤلفين، النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، تحرير: أبو المعاطي الرمادي، ومعجب العدواني، مؤسسة الانتشار العربي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٢م.
- مجموعة مؤلفين، النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات، ترجمة: نجاح الجبيلي، دار شهريار، العراق، ط١، ٢٠٢١م.
- محمد إبراهيم أبو سنة، تأملات نقدية في الحديقة الشعرية (قراءات ودراسات)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٩م.
- محمد حجو: الإنسان وانسجام الكون (سيميائيات الحكي الشعبي)، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٢م.

- محمد حسن عبدالله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م.
- محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الشعر والشعراء، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩٢م.
- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
- محمد علي مقلد، الشعر والصراع الإيديولوجي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- محمد أبو الفضل بدران، النقد الأدبي البيئي (النظرية والتطبيق)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط١، ٢٠١٠م.
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣، ١٩٩٢م.
- مرشد أحمد، أنسنة المكان في روايات عبدالرحمن منيف، دار الوفاء، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- ابن المعتز، عبدالله بن محمد المعتز بالله، ديوان أشعار الأمير أبي العباس، تحقيق: د. محمد بديع شريف، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨م.
- معجب العدواني، مدخل إلى النقد البيئي ، ضمن كتاب (النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات)، تحرير: أبو المعاطي الرمادي، ومعجب العدواني، مؤسسة الانتشار العربي، الشارقة، ٢٠٢٢م.
- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- مونيس بخضرة، تاريخ الوعي (مقاربات فلسفية حول جدلية ارتقاء الوعي بالواقع)، مؤسسة راشد آل مكتوم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.
- نادر كاظم، تمثيلات الآخر(صورة السود المتخيل العربي الوسيط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤م.

ثالثا: الرسائل العلمية:

- دليلة مكساح، البيئة في الشعر الجزائري المعاصر، دكتوراة، جامعة محمد خيضر – بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، ٢٠١٥م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:https://core.ac.uk/reader/35402830
- سهير عوض السيد محمد، الصورة الفنية في شعر الشريف العقيلي، ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، السودان، ٢٠١٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/620881
- فاطمة الزهراء محمد فوزي، الشعر العربي في العصرين الإسلامي والأموي في ضوء النقد الأدبي البيئي، نماذج مختارة، دكتوراة، كلية الآداب– جامعة جنوب الوادي بقنا، ٢٠١٧م.
- محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥–٢٠٠٦م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://ebook.univeyes.com/109010

رابعًا: الدوريات العلمية:

- إسلام ربيع السعيد عطية، أنسنة الطبيعة الصامتة في شعر ابن خفاجة ت ٥٣٣هـ: دراسة في ضوء النقد البيئي (الإيكولوجي)، مجلة كلية الآداب–جامعة دمياط، مج (١٢)، ع (٦) نوفمبر و ديسمبر ٢٠٢٣م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://journals.ekb.eg/article_377062.html
- إسلام محمد السباعي راضون، سمات خطاب السرد الإيكولوجي في نماذج من قصص الأطفال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس، ع (٤٣)، ديسمبر ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://journals.ekb.eg/article_302006_0.html
- أسماء إبراهيم حسين، النقد الإيكولوجي وتجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية) لإبراهيم نصر الله، و(إسكندرية ٢٠٥٠م) لصبحي الفحماوي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بدمنهور، ع(٥)، ج(٤)، ٢٠٢٠م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/1118248

- آمال يس عبدالخالق حسين ، الأثر الإيكولوجي في رثاء بغداد للخزيمي، مجلة كلية الآداب– جامعة الفيوم، مج (١٤)، ع(١)، يناير ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://jfafu.journals.ekb.eg/article_187512_601db15d1b9da28ccf219c898f92af4a.pdf
- إيمان مطر السلطاني وآخرين، نسق النسوية البيئية في رواية (حديقة حياة) للطيفة الدليمي، بحث منشور بمجلة (Route Education and Social Science Journal)، هذه المجلة تصدر عن أكاديمية ريس للنشر، تركيا، ع (٦/٢)، يناير ٢٠١٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://www.ressjournal.com/DergiTamDetay.aspx?ID=1811
- إيمان مطر السلطاني وآخرين، النقد البيئي أفق أخضر في الدراسات النقدية المعاصرة، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، مجلة اللغة العربية وآدابها، ع (٣٣)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
- https://journal.uokufa.edu.iq/index.php/jall/article/view/254/214
- بسمة عروس، النقد الإيكولوجي ومستقبل الدرس الأدبي، مجلة إتحاد الكتاب التونسيين، تونس، ع (٣)، (أبريل ٢٠٢٢)، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/1282741
- بنين سمير عيسى و علي مجيد داود ، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، العراق، ع (٥٧)، مايو ٢٠٢٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://www.ijohss.com/index.php/IJoHSS/article/download/702/697

- تهاني قليل أحمد الرفاعي الجهني، تمثلات الحضور البيئي في رواية (الوسمية) لعبدالعزيز مشري: مقاربة في ضوء النقد البيئي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع (١٢)، يونيو (٢٠٢٤)، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/1477556
- جيليكا توشيتش: النقد البيئي– دراسة في الأدب والبيئة، ترجمة: سناء عبدالعزيز، مجلة (فصول في النقد الأدبي) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج(٢٦/٢)، ع(١٠٢)، ٢٠١٨م ، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/977718
- خليل عبدالقادر يوسف عيسى، البيئة في مجموعة أسامة العيسة القصصية (رسول الإله إلى الحبيبة) من رؤية النقد البيئي، ومنظور الماركسية البيئية، أوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، مج (٣)، ع(١٥)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.awraqthaqafya.com/1419/
- خميس آدامي، من أجل لغة خضراء – محاولة في فهم أدب البيئة ونقده، مجلة أبوليوس، كلية الآداب واللغات –جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر، مج (٨)، ع(٢)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/162720
- دليلة مكسح، التبيؤ الشعري ومسيرة الشعر، مجلة (أبوليوس) كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الشريف مساعدية، الجزائر، ج٤، ٢٠١٦م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:https://www.youtube.com/watch?v=AoFcCzw5-Rw
- رشيد الحمد، و محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم (٢٢)، شهر (أكتوبر)، ١٩٧٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-1310-

- سرحان حسن سرحان محمد، التشبيه في شعر الطبيعة للشريف العقيلي، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مج (٤٢)ع (٤٢)، ٢٠٢٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:https://journals.ekb.eg/article_277726.html
- شيماء محمود خليفة، مقاربة إيكولوجية للسرد الروائي العربي رواية النباشون لسوسن جميل حسن أنموذجًا، مجلة جامعة مصر للدراسات الإنسانية (اللغويات والأدب)، جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، مجلد(٥)، ع(١)، يناير ٢٠٢٥م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://mjoms.journals.ekb.eg/article_400521.html
- صابر محمد السيد جويلي، صورة الضب في المثل العربي القديم، مقاربة في مرآة النقد البيئي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور، ع(٦)، ج(٣)، ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://jcia.journals.ekb.eg/article_198656.html
- ضياء عبدالرحمن، مقاومة بيئية في شعر محمود درويش، مجلة الدبيل، مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، حيدر آباد، الهند، مج (١)، ع(١)، يناير ويوليو ٢٠١٦م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/792757
- عبدالحميد أحمد الحسامي، الضباب أتى.. الضباب رحل، قراءة من منظور بيئي، مجلة (علامات في النقد الأدبي)، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مج (١٧)، ج(٦٨)، فبراير ٢٠٠٩- صفر ١٤٣٠هـ، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://ibbuniv.edu.ye/journals/index.
- علي رومي بور، الدراسة والنقد الإيكولوجي لأشعار جواد جميل وطاهر صفر زاده، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، مج (١٠)، ع (٣٧)، ٢٠١٨م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.researchgate.net/publication/373354554
- فريد عوف، النقد البيئي: الرؤية والتطبيق: دراسة لنماذج شعرية من شعر المدينة والريف للشاعر الجزائري عبدالملك بومنجل، مخبر الدراسات الصحراوية – جامعة طاهري محمد

بشار، مج(١٢)، ع(١)، ٢٠٢٣م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/222577

- فريدة غبوة، أسس المنهج الظواهري عند إدموند هوسرل، مجلة التواصل، جامعة عنابة– الجزائر، ع (٤)، ١٩٩٩م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://asjp.cerist.dz/en/article/10599
- مايكل برانش، النقد الإيكولوجي، الطبيعة في النظرية والممارسة الأدبيتين، تر: معين رومية، دورية (نوافذ)، تصدر عن النادي الأدبي بجدة، ع (٣٦)، مايو (٢٠٠٧م) ، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: http://maaber.50megs.com/issue_june08/literature2.htm
- محمد بن يحيى أبو ملحة، قصص إبراهيم مضواح، دراسة من منظور إيكولوجي، مجلة تواصل، جامعة عدن، ع (٢٨)، يناير ٢٠١٣م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/600966
- محمد عبدالناصر محمد العنتبلي، شعر معروف الرصافي في ضوء النقد الإيكولوجي، حولية كلية اللغة العربية بنين جرجا، جامعة الأزهر، مج(٢٦)، ج(٥)، ديسمبر ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://bfag.journals.ekb.eg/article_277541.html
- محمد فاضل المشلب، البيئة ظهورًا شعريا مقاربة نقدية في أشعار طالب عبدالعزيز، مجلة فصول، مج(٢/٢٦)، ع(١٠٢)، شتاء ٢٠١٨م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://search.mandumah.com/Record/977752
- معتز أحمد، إشكالية القيم بين الإنسان والبيئة: دراسة تطبيقية في فلسفة (هولمز رولستون) الإيكولوجية، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مج(١٣)، ع (١)، يناير ٢٠٢١م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://www.academia.edu/128123585/

- هاني علي سعيد، النقد الأدبي البيئي؛ قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية، وممارسة تطبيقية على قصة (رأيت النخل) لرضوى عاشور، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب– جامعة كفر الشيخ، مج(٢٦)، ٢ (٢) يناير ٢٠٢٢م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://shak.journals.ekb.eg/article_226641.html
- هناء محمد مصطفى، المكان في شعر الاتجاه الرومانسي، دراسة في النقد البيئي، مجلة (سرديات)، الجمعية المصرية للدراسات السردية، ع (٣٠)، ديسمبر ٢٠١٨م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://sardiat.journals.ekb.eg/article_89157.html
- وجدان صادق صدام،، ومعتز قصي ياسين، مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد، بحث منشور مركز دراسات البصرة والخليج العربي، العراق، ع١٧، ٢٠١٤م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:
https://search.mandumah.com/Record/940686
- يسري عبد الفتاح حسن عبد الموجود، بناء الجملة في شعر الشريف العَقِيلي دراسة نحوية دلالية، حولية آداب عين شمس، مج(٤٥)، ع(١)، يناير – مارس ٢٠١٧م، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني:https://journals.ekb.eg/article_16435.html

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، وهذه نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني (WWW.alukah.net) بتاريخ ٩/٨/ ٢٠٢٤م.
- سعد الدين كليب، جماليات المكان (آليات التبدي المكاني في الشعر) ، نسخة منشورة عبر الرابط الإلكتروني: https://www.startimes.com/?t=28567097 بتاريخ ٢٠/١٢/٢٠٢٤م.
- سعيد يقطين، هل سمعت بالنقد البيئي؟ نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني: https://thaqafat.com/2016/11/69209 بتاريخ ١١/٩/٢٠٢٤م.

- محمد أبو الفضل بدران، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي للغة العربية، نسخة منشورة على الرابط الإلكتروني بتاريخ ٩/١٠/ ٢٠٢٤م.
https://www.alarabiahconferences.org/wp-content/uploads/

سادسًا: المراجع الأجنبية:

- Arne Naess, Ecology community and life style, trans by David Rothenberg, Cambridge university, press,1987

Abstract

The topic of this research is "Nature as a Speaking Self: An Ecocritical Reading of the Poetry of Al-Sharif Al-‘Uqayli (d. 450 AH)". The ecological perspective is one of the modern literary approaches that examines the relationship between humans and the environment, focusing on the impact they have on each other. It includes all literary texts that address environmental concerns and promote environmental protection.

Al-Sharif Al-Aqili paid great attention to the environment, observing and reflecting on it deeply. His poetry has an environmental focus, as it expresses environmental concerns and highlights various environmental issues, and this is a result of his great regard of the environment.This is evident in his poems, where he describes nature, gardens, flowers, night and morning, stars, planets, and other elements of the natural world.

The study consists of an introduction, a preface, two main chapters, a conclusion, and a list of sources and references. The first chapter is titled Representations of the Ecological Vision in the Poetry of Al-Sharif Al-Aqili. It discusses environmental values, ecological ethics, and environmental components. The second chapter focuses on Ecological Artistic Expression and Its Impact on Literary Techniques in His Poetry. It covers the ecological lexicon, ecological imagination, and ecological intertextuality.

The key findings of this study: Al-Sharif Al-Aqili's poetry contains many environmental elements , orientation. andPoetic Ecologization.His poems feature environmental imagery to express human emotions and aesthetic visions influenced by nature. His poetry raises environmental awareness, promotes harmony between humans and nature, emphasizes moral responsibility toward the environment, and calls for a return to pure nature while rejecting human-centered thinking. The environment played a significant role in shaping his personality and thoughts, as seen in the symbolic meanings he attached to natural elements.

The presence of nature in his poetry is not just outward description, but it also carries philosophical aspects, reflecting his vision in lif. He used nature to express his reflection on existence and time, employing natural elements as symbols of moral and social values. His poems draw on environmental imagery to represent strength, weakness, change, and stability

Keywords: Nature – Ecocritical Approach – Poetry of Al-Sharif Al-‘Uqaylī